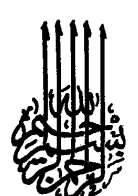
أنور الجندي

هزيمة الشيوعية
في عالم الإسلام

دار الاعتصام



١

مدخل البحث

لما كان الاسلام هو دين الانسانية الخاتم وله ميزته الواضحة بأنه منهج حياة ونظام مجتمع ، ينطلق من منطلق الرسالة الربانية المنزلة بالحق على النبى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن خاتما للرسالات ومهيمنا على الكتب وليظهره الحق تبارك وتعالى على الدين كله ، ومن حيث أن الاسلام ربانى المصدر انسانى الطابع عالمى الوجه ، جاء للناس جميعا وللبشر كافة منذ ظهوره والى ان يرث الله الأرض ومن عليهــا فقد حق له ان يواجــه الأيديولوجيات البشرية التى تصنعها الأمم على مختلف العصور لتتخذ منها منهجا لحياتها ، وفى العصر الحديث وقد امتد الاسلام الى كل قارات العالم وبلغ تعداد اهله ثلث تعداد العالم كله (الف مليون مسلم) وقد امتلك سكان الأمة الوسطى على هذا الكوكب ، واعطيت امته : التوحيد الخالص والعقيدة السمحة اليسيرة القائمة على العدل والرحمة والاخاء الانسانى كما اعطيت الموقع الجغرافى الفذ فانها قد اعطيت ايضا ثلاث : الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، ومن ثم فقد كان على الاسلام أن يقدم فكرته الى البشرية وان يواجه قبل ذلك كل المذاهب والنحل والأيديولوجيات ليكشف عن انها لم تصــل الى ما يتميز به منهجه من تكافل فى العطــاء وتوافق مع الفطرة ، وجمع بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة .

ولقد واجه الفكر الاسلامى خلال السنوات المائة الماضية منهج الغرب : المتمثل فى الراسمالية ، الليبرالية ، الديمقراطية ، وكشف عن ان هذا المنهج لا يستطيع ان يعطى عطاء الاســلام ولا يستطيع أن يقيم مجتمع الاخاء والمساواة ثم لما انقسم هذا المجتمع الغربى الراسمالى على نفسه وظهرت ردة فعل الراسمالية فى غزوها وظلمها وعدوانها بظهور الفكرة الماركسية الاشتراكية فقد كان على الاسلام ايضا أن يواجه هذه الأيديولوجيات ويكشف زيفها ويظهر عظمة الاسلام وقدرته على العطاء وعجز هذا المنهج عن تحقيق المجتمع المنشود وقد مضى عليه الآن منذ قيامه أكثر من ستين عاما .

ولقد كان على الاسلام ليثبت أنه من عند الله تبارك وتعالى وانه النظام الربانى الانســانى العــالمى الذى تتطلع اليــه البشرية ان يواجه هاتين

الأيديولوجيتين اللتين زحفتا الى المجتمع الاسلامى وحاولتا امتلاك ناصيته ، وقد تحقق لهما هنا وهناك مجال التطبيق : هــذا التطبيق الذى كشف عن فساد المنهج البشرى وعجزه عن العطاء ، ليس فى ارض الاسلام فحسب بل فى أرضه أيضا وفى مسقط رأسه ، فلقد واجهت الماركسية منذ ظهورها تحولات كثيرة وتغيرات عديدة اضطرت معها الى اجراء كثير من الحذف والاضافة ومع ذلك فما زالت التجربة الشيوعية تكشف كل يوم عن عجزها عن العطــاء .

ولا تزال التقارير والوثائق تؤكد قدرة الاسلام على مواجهة الشيوعية كما أتيح له من قبل فى مواجهة الراسمالية ولا تزال الراسمالية والشيوعية تمنيان كل يوم بسلسلة من الهزائم النكراء حتى فى المناطق التى نشأت فيها ، واليوم تعلو فى الغرب صيحة تطالب بنظــام اقتصادى عالمى بعــد فشل النظامين وانكشاف مسارهما وقد طالب مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز باقامة نظام اقتصادى عالمى جديد قادر على حل الأزمات الطاحنة التى يعانى منها عالم اليوم .

واذا كانت الراسمالية الغربية هى التى ادخلت الشيوعية الى البلاد الاسلامية لتحطم الوطنية ولتقضى على معنويات الأمة فانه كان من الطبيعى وقد امتد الاسلام هــذا الامتداد ان يصادم هــذه المذاهب ويكشف زيفها وينتصر عليهــا وان تتجلى مقاصــد الاســلام وتبرز الحقيقــة الواضحة من انه هو المنهج الوحيد الذى يحقق التقدم وامتلاك الارادة لهذه الأمة .

وقد تبين للمسلمين بعد التجربة لكلا النظامين انهما لم يكونا مصدر عطاء بقدر ما كانا مصدر هزيمة وانهيار .

واذا نظرنا الى التجربة الشيوعية فى روسيا لوجدناها صورة مظلمة فان آخر التقــارير تقول ان ٥٢ مليون لقوا حتفهم فى الاتحاد الســوفيتى فى ٢٦ عاما بسبب المجاعات والاعتقالات والاضطهادات والحرب العالميــة الثانية وقد نشر هذا (يوسف دياركين) الذى أعلن ان النظام الشيوعى فى موسكو يخفى هذه الأرقام بعناية ويحول دون اعلانها ، وان الأرواح التى فقدت فى الاتحاد الســوفيتى بسبب الأنظمــة الجماعيــة والمجاعات والاعتقالات بالجملة ما بين ١٩٢٨ الى ١٩٣٦ بلغت من ١٠ الى ١٦ مليون شخص وان بين ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ اعــدم ومات ٤ر١ مليون فى معســكرات الاعتقال ، و ٨ر١ مليون فى المعسكرات فى الحرب بين روسيا وفنلندا ، وفيما بين ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ مات ٢٠ مليون شخص فى الحرب العالمية الثانية

بالاضافة الى ١٠ر١ مليون ماتوا فى المعسكرات السوفيتية . ومن ١٩٥٠ الى ١٩٥٤ مات نصف مليون آخرون فى مسكرات العمل الاجبارى .

هذه هى الصورة القائمة التى تجنبوها ويقدمون بدلا منها صورة مغرية للسذج الأغرار عن العدل وارتفاع مستوى المعيشة وغيرها من الاكاذيب عن ما يسمونه « الفردوس الأرضى » ولقد كشف الزمن والوقائع والتاريخ عن زيف هذا الادعاء الذى خدع الكثيرين وقد غفل هؤلاء عن ان الاشتراكية لم تظهر فى الغرب الا رد فعل المظالم البشعة التى جاءت بها الثورة الصناعية ووليدتها الراسمالية حتى اصبح العامل سلعة تخضع لقانون العرض والطلب واصبح الأطفال والنساء يشتغلون اربع عشرة ساعة حيث لم يعرف الشرق هذه الصورة البشعة (كما يقول عبد المغنى سعيد) كما تكشفت اكذوبة (الاشتراكية العلمية) فقد تبين بعد الاشتراكية عن العلم وانهـا كانت من الأوهام والخرافات التى روج لها اليهود المهيمنون على نشر الشيوعية فى البلاد الاسلامية وتبين أن اشتراكية ماركس أبعد ما تكون عن العلم ، بل هى نافية للعلم ومنكرة لحقائق المادية فحيث لا يعرف العلم سوى المادة المحسوسة الملموسة فان ماركس يتحدث عن مادية لا وجود لها الا فى خياله ويطلق عليها (المادية الجدلية) وهى ليست المادية التى يعترف بها العلم ويقرها ولكنها شيء « غيبى » قال به ماركس ويجب الايمان بها لأنه قالها ، والمهم فى ذلك كله أن الأساس الذى شاد عليه ماركس نظريته واقواله لا يعدو ان يكون تهويمات وخيالات وأوهام لا صلة لها بالعلم الذى لا يعترف الا بما هو محسوس وملموس ، وقد جرد الباحثون الذين عرفوا الماركسية وارتدوا عنها اشتراكية ماركس من وصف العلمية واسموها الاشتراكية المادية تأسيسا على انها تنكر الألوهية وتحل محلها المادية الجدلية ، ونجد ذلك واضحا فى الردود القوية التى كشف بها مصطفى محمود ولمعى المطيعى وعبد المغنى سعيد زيف الماركسية بعـد ان اتصلوا بهـا ومنهم من أعلن فى وضوح — امثال عبد المغنى سعيد — بأن التعاليم الاسلامية تنطوى على ما هو اعظم من الاشتراكية فقد أكد الاسلام التكامل بين أفراد المجتمع الاسلامى أيا كان دينهم والوانهم وجنسياتهم وحدد الاسلام حدا أدنى لا يمكن ان يهبط دونه اى مواطن ، كما حدد من خلال تعاليمه حدا أقصى لا يستطيع احد تجاوزه وجعل من (فريضة الزكاة) من ناحية وسلطة الحاكم من ناحية اخرى ما يوفر الحياة الكريمة لأى مواطن .

وحاولت الاشتراكية أن تمتهن عبارة (الزكاة) فى القرآن وتطلق عليها كلمة (صدقة) ولكن الاسلام قرر أن الصدقة ليست تفضـلا ولا تبرعا ولا يزد من يدفعها على كونه مسلما ولا ينقص من يأخذها من كونه مسلما

وان اعظم معانى العدالة الاجتماعية فى الاسلام ان طالب بحيد المسكن والطعام مجانا فقد كان الأزهر الشريف الذى انشىء منذ الف عام ليعلم الناس ذروة العلم ، لم يكن بالمجان فحسب ، بل كان طالب العلم يجد المأوى او المسكن ويجد الطعام والشراب والملبس ، وقد اطلق الاحتلال البريطانى — كما يقول الأستاذ احمد حسين — على هذه العدالة كلمة « الجراية » للقضاء على الالتزام ونجح الانجليز فى تثبيت فكرة المهانة من كلمة الجراية حتى أصبح العلم بالمصروفات ومن ثم أصبح حكرا على القادرين .

ولم تكن الشيوعية والراسمالية وحدهما هما طريق النماء الاقتصادى ، وانما كان الاسلام وفيه خيرهما وفيه منجاة من عيوبهما وقد سجل ذلك علماء الغرب فقال جاك أوسترى فى كتابه (الاسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) ان طريق النماء الاقتصادى ليس محصورا فى الاقتصادين المعروفين الراسمالى والاشتراكى بل ان هناك اقتصادا ثالثا راجحا هو الاقتصاد الاسلامى الذى يبدو وانه سيسود عالم المستقبل لانه اسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوىء ، وقد قام الاقتصاد الاسلامى على سياسة ثابتة متطورة : ثابتة من حيث اصولها الاقتصادية التى وردت فى نصوص الكتاب والسنة ، متطورة من حيث تفاصيل تطبيق هذه الأصول بما يتلاءم وظروف الزمان والمكان ومن ثم بتعدد التطبيقات الاسلامية باختلاف المجتمعات . فالتطبيقات وضعية باعتبار جهود الأمم والمجتهدين فى استنباطها الا أن مرجعها ومصدرها هو الله تعالى .

وتؤكد مصادر كثيرة ان الشيوعية طريق من الطرق التى أخترعها اليهود للسيطرة على العالم . فهم لا يستطيعون أن يقولوا للناس منذ البداية « كونوا يهودا » أو كونوا خدما لليهود ، انهم حين اذن بواد « الاديان » ومثلها لكى تكون النفوس فارغة ممهدة لاية بذور جديدة وليس عمل الشيوعية الا تفريغ النفوس من العقائد بالالحاد وتفريغها من الخلق بالاباحية وتفريغها عن الوطنية بالدعوة الماسونية القائلة خداعا بالانسانية وتفريغها من الكرامة بشراء الضمائر والتدريب على التخريب وان الشيوعية لها هدف محدد هو تمهيد الارض لليهود لكى يسيطروا على العالم بحكوماتهم الخفية المستترة فى جمعيات ماسون وجمعيات تقدمية وقد ظهرت مؤلفات عديدة تكشف الترابط الوثيق بين اليهودية والشيوعية من جهة وبين اللعبة اليهودية فى مجالى الراسمالية الأمريكية والبلشفية الشيوعية من جهة هزيمة العرب ، بتدبير اكبر عملية نزوح يهودى الى اسرائيل .

وقد كشفت الاحداث عن تآمر الشيوعية بمن يتصل بها او يتعامل معها

وفى تجربة مصر واندونيسيا والكونغو تبين تآمرهم وباءت تجربتهم بالفشل والسقوط وكانت التجربة قد بدأت باحساس لدى الشعوب التى اخذت تتحرر من ان الشيوعيين قد يكونوا عونا لهم على الدول المستعمرة الغربية فى الحصول على الاستقلال والتحرر وتلك كانت من دعاواهم العريضة المضللة بانهم محرروا الشعوب ، غير ان الذى كشفت عنه العلاقات التى قامت بينهم وبين البلاد الافريقية والآسيوية قد اظهر تآمرا خطيرا يستهدف اسقاط هذه البلاد فى قبضة النفوذ السوفييتى المدمر ، وان خدعة التحرر ما كانت الا غلافا براقا لمؤامرة اشد خطرا وهو نقل هذه البلاد من النفوذ الغربى الرأسمالى الى النفوذ الماركسى الشيوعى المعارض لعقائدها ودينها وقيمها ، والذى يهـدف الى اتخاذها منطلقـا لتحقيق مطامع السوفييت فى اقامة الامبراطورية الشيوعية العالميـة والوصول الى البحار الدافئة والسيطرة على منابع البترول ومنافذ البحار وقد اتخذت هذه المحاولة الخطيرة عدة أساليب للسيطرة : منها فى المرحلة الاولى أن اعتمد السوفييت على رجال الاحزاب الشيوعية فى هذه الاوطان ، ثم استعانوا فى المرحلة الثانية بالجنود المرتزقة المستقدمة من كوبا وغيرها ثم جاءت التجربة المريرة مع افغانستان فكشفت اوراق الشيوعية كاملة فقد كان تدخلهم صريحا وعلنيا لاول مرة فى تاريخهم كله ، ومن خلال الاحداث التى وقعت مع اندونيسيا ومصر وغانا تكشف ان الصهيونية والشيوعية على تخطيط مترابط يستهدف فرض شبكة عالمية وان النفوذ الغربى كان يؤدى دورا خطيرا حين يضغط على كثير من الدول فى مرحلة الاستقلال بالتجويع والاذلال حتى ترتمى فى احضـان الشيوعية مما يوحى بأن حكومة خفية تدير العالم كله من وراء النظامين الرأسمالى والماركسى ويشير بعض الباحثين الى انه كان هناك اتفاق غير مبرم بين الشيوعية والغرب على السماح للشيوعية بارتياد بلاد المسلمين لان الشيوعية اقدر من الغرب على محاربة الاسلام وتحطيم الجبهة الداخلية ولما كانت الشيوعية لا تنمو الا فى ظلال العقيدة الفاسدة فكان أن فرضت الدكتاتورية على الشعوب وهاجمت العقيـدة الاسلاميـة وخربت الحركة الاسلامية وقد كشفت ابحاث عديدة عن أن الماركسية ليست نظرية اقتصادية علمية ، وانما هى نتاج أوربى هو رد فعل للرأسمالية وانه نتاج أوربى يتعارض مع أصولنا وقيمنا الحضارية وانهـا تيـار فكرى — كما يقول طارق حجى فى كتابه (افكار ماركسية فى الميزان) يرتبط بجزئيـات من داخله ينهار اساسها الفلسفى امام المناقشة العلمية والنقد الموضوعى وهو تيار فكرى يعرض على الانسان « القهر الفكرى » فالانسان اذا رفض ولو جزئية صغيرة من الماركسية يعده الماركسيون عدوا لهم ويصفونه بالرجعية اما اذا قبل الانسان الفكر الماركسى برمته فى سائر جوانبه الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية فانه يتحول الى آلة استقبال لا تملك

الا التلقى ولا يوجد التقاء بين الاسلام والماركسية فالاختلاف هائل بين أسس المجتمع الاسلامى واسس المجتمع الشيوعى وبالجملة فان الاسلام والماركسية لا يلتقيان . وقال : ان الماركسية فى مأزق فعلى الرغم من ان جزءا كبيرا من العالم يطيعها ويسير معها فى نظام حياته الا ان كل الشواهد تؤكد ان الارض تهتز من تحتها وانها فى طريقها الى الزوال فقد فشلت فى تحقيق كثير من التوقعات للافراد فى الدول التى تدين بها ومعظم الاحزاب الشيوعية فى العالم قد اخذت فى الانشقاق والانفصال بل وتحطيم النموذج الماركسى السوفييتى المثالى بحيث لم تعد هناك حركة شيوعية عالمية واحدة ، فقد نشأت ما يسمى بالحركة الشيوعية الاوربية بالاضافة الى رفض وتغيير وانحراف كثير من الاحزاب الاخرى فى جهات متعددة من العالم عن المثل الرئيسى للماركسية .

وقد اخطأت الماركسية حين تصورت التاريخ صراعا مستمرا بين طبقة وطبقة واخطأت حين اتخذت من سلاح الصراع الطبقى وسيلة لهدم الامم وتدمير المجتمعات لتحقيق غايتها التى لا تخفيها وهى بث الثورة العالمية وسحق النظم الراسمالية وفرض النظام الشيوعى على العالم كله وقد اشار مولوتوف (البرافدا) ١٩٥٠ الى هذا حين قال : « ان الشيوعيين لن يتخلوا عن امنيتهم الكبرى الا وهى نشر المذهب الاشتراكى فى سائر انحاء العالم منذ نجاح الثورة البلشفية ١٩١٧ وبعد انتصارها الحاسم فى الحرب العالمية الثانية وظفرها بالقضاء على اخطر القوى الرجعية وتحقيقها لغلبة الجنس السلاف على الجنس الجرمانى ولا سيما بعد ظفرها باسرار القنبلة الذرية .

وقد كانت (الثورة العالمية) من الغايات الجوهرية التى اعتنقتها البلشفية وعملت لها منذ الساعات الاولى ، وان اخفت هذه النغمة خلال الحرب العالمية الثانية حين تحالفت مع الغرب على اسقاط الهتلرية ولكنها عادت بعد الحرب الى تحقيق غايتها وفى هذه الفترة تمكنت بالاتفاق مع دول الغرب من بث الشيوعية فى البلاد العربية والاسلامية عن طريق عملائها اليهود ويرى بعض الباحثين ان الشيوعية دخلت العالم الاسلامى لهدفين :

(أولا) خلق تيارات ماركسية من المسلمين انفسهم بتوجيه من اليهود الشيوعيين .

(ثانيا) : تحطيم المجتمع الاسلامى بثورات متعددة متتالية .

وقد فشلت الاحزاب الشيوعية ولم تستطع ان تصل الى الحكم فظلت منبوذة معزولة عن مشاعر الجماهير المؤمنة المسلمة .

وقد صدر اخيرا كتاب عنوانه « الامبراطورية المتفجرة » للكاتبة هيلين كارير حرصت فيه هذه الباحثة ان تبين كيف أن الشيوعية لم تتمكن من امتصاص الاسلام حتى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه فالمسلمون يشكلون ٢٢ بالمائة من سكان الاتحاد السوفيتي ومن المقدر ان يصل عددهم عام ٢٠٠٠ الى حوالى ثلث السكان (٩٠ مليونا) .

واشارت الى ان كل الكتابات الصحفية تحاول أن تصور الاسلام على انه دين رجعى متأخر معاد الحضارة والتقدم والتطور وبالتالى وضع حركة الوعى الاسلامى التى بدأت تكبر مثل كرة الثلج فى اطار معاد للعالم المتحضر

ودعت الجويش كرونيل الصهيونية الولايات المتحدة والسوفيت الى اعادة النظر فى استراتيجيتهما على اساس التحسب للنهضة الاسلامية المعادية لهما وكتب مكسيم رونسون اليهودى فى صحيفة لوموند ان الاسلام لم يكف عن كونه رافضا كل تطور ولمجاراة الحياة العصرية بسبب تمسكه المتزمت بحرفية الدين .

ولا ريب أن هذه المخططات اليهودية الشيوعية تكشف عن الحقيقة التى اصبحت معلومة الآن بوضوح من ان اليهودية الصهيونية هى ظهرة الشيوعية وانها هى التى اوصلتها بالدعم اليهودى المكشوف الى ما وصلت اليه الآن من قوة فماركس فيلسوف اليهودية الاول كان يهوديا ولينين — يهودى الاصل — هو الذى دعا الى المشاركة بين الشيوعية واليهودية العالمية فى مخطط واحد وكانت هذه العلاقة الوطيدة بين الماركسية واليهودية العالمية الدافع الاساسى لاندفاع الشيوعية الى العالم لان اليهودية كيان منغلق على نفسه ولا يستطيع الانتشار والسيطرة الا بمفاهيم الشيوعية والعلمانية والليبرالية والراسمالية واكذوبة الاخاء والمساواة ، ولا ريب أن اليهودية العالمية والغرب هما اللتان دفعتا الاتحاد السوفيتى ليكون طرف نزاع وصراع فى الشرق الاوسط حتى تتم لعبة الامم لتحطيم العالم الاسلامى فلولا اسرائيل لما وجد الاتحاد السوفيتى مكانا بجانب الدول الاستعمارية الغربية .

وقد كشفت الصين (١٩٨٠/٦/١ الصحف) عن خطة تتول بأن السوفيت يسعون للسيطرة على العالم تبرز فى اعمالهم فى جنوب غرب آسيا باحتلال افغانستان وفى جنوب شرق آسيا وفى افريقيا وهى تعمل على تطويق اوربا ، وقد تبين اليوم انه فى مرحلة سابقة من الوفاق ظهر الروس فجأة وهم متفوقون عسكريا فى مجالات كثيرة وذلك كله يجرى مع ما جاء فى بروتوكولات صهيون من اعداد الروس ليكونوا الوجه الآخر للصهيونية ولكى يلتهموا العالم معا .

وقد اعلن سلوجستين بعد خروجه من الاتحاد السوفيتى هذه الحقيقة حين قال : « ان الشعب الامريكى لم يتنبه الا اخيرا ، انه ضحية المخدرات التى ابتدعها وادمنها وانه ضحية خرافة التفاهم مع السوفيت والوفـــاق والتعايش السلمى والتوازن النووى والروس لا يحاربون خارج امبراطوريتهم كل ذلك كذب فالشيوعية فلسفة توسعية ولا طول ولا عرض ولا عمق للمجتمع الروسى ، انه بلا حدود ، وخلاصة فلسفتهم هى السيطرة العالمية وعلى الرغم من أن هذه حقيقة اعلنها السوفيت فان الناس فى الغرب لا يصدقونها لانهم يخافون من تصديقها فاذا صدقوها كان لابد أن يفعلوا شيئا وهم لا يريدون » .

أما فى الاتحاد السوفيتى فان الامر يتكشف عن حقيقة واقعة هى ان نصف سكان الاتحاد السوفيتى لا يدينون بالولاء للنظام الشيوعى وانه بعد مرور أكثر من ٦٠ عاما على الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى فان زعماء موسكو لم ينجحوا حتى الآن فى بناء الانسان السوفيتى الذى يدين بالولاء الكامل لتعاليم ماركس ولينين كما بدا المنشقون السوفيت انفسهم يتنبأون بفناء الشيوعية وانحسارها عن وطنهم ، كذلك بدا المفكرون الشيوعيون فى الغرب يتحدثون عن احتمال تمزق المجتمع السوفيتى نتيجة لتمزق السلالات من السكان ، ففى الاتحاد السوفيتى اكثر من مائة سلالة لم تنصهر ، معظمها فى قالب واحد ، يوقن بالتعاليم الماركسية ، وينتمى سكان الاتحاد السوفيتى الآن حوالى ٢٦٠ مليون نسمة فان أكثر من ١٢٠ مليون سوفيتى لا يدينون بالولاء للنظام الشيوعى وفى الاتحاد السوفيتى ١٥ جمهورية (جمهوريات روسيا البيضاء وحدها تمثل نصف سكان الاتحاد السوفيتى) فان معدل الزيادة السريعة للسكان يأتى من باقى الجمهوريات السوفيتية التى تتعدد فيهـــا السلالات والعقائد غير الشيوعية بينما معدل الزيادة السكانية فى روسيا البيضاء لا يذكر مع نقص الايدى العاملة هذا فى روسيا البيضاء التى تدين بالولاء للشيوعية بينما تزداد القوى البشرية فى المناطق الآسيوية التى يسكنها القوقازيون والاوكرانيون الذين لا يؤمنون بالتعاليم الماركسية وبينما تزداد جرعة التعاليم الموجهة الى الشعب يفرط الشعب فى ادمانه للخمور لابتلاع التعاليم الزائفة ويتوقع الباحثون الذين عايشوا المجتمع السوفيتى انحســـار المد الشيوعى داخل الجمهوريات السوفيتية بل أن المناهضين للشيوعية فى الاتحاد السوفيتى يتوقعون سقوط « الماركسية » لان معظم الشعب السوفيتى لا يعتبر أن « الشيوعية » هى الايدلوجية التى تناسبه كما أن الشباب السوفيتى يبحث الآن عن طريق الخلاص من التعاليم الماركسية الزائفة التى يسكبها النظام على الشعب ويؤمن الشعب السوفيتى ان ما يشفيه من الوباء هو دواء الحرية الذى حرم منه ويقول الـكاتب السوفيتى المنشق سولجتين « ان الشيوعية لن تغلبهـــا قوة مضـــادة من الخارج لان الخلاص منهـــا سوف يأتى من داخل المجتمع السوفيتى نفسه لان الشعب نفسه هو الذى

يشعر بما يعانيه تحت ستار التعاليم الماركسية وهو الذى يملك فى يده مفتاح الخلاص لابطال هذه التعاليم الزائفة » .

ونخلص من هذا العرض الى مجموعة من الحقائق :

اولا : ان التاريخ قد واصل سيره بعد ماركس حيث لم يكن الـكلمة الاخيرة كما كان يظن أو يظن الماركسيون ، لقد تقدم علم الانسان — كما تقول دكتورة بنت الشاطىء — فأدرك ان الجماعات البشرية ليست قطيعا يخضع لنمط واحد فى السلوك ويصبه فى قوالب عامة كالتى تضبط سائر الكائنات سواة ، وقد اضيفت قيم انسانية جديدة لم تدخل فى حسابات المذهب المادى ومنها العامل الدينى ، الذى يلقانا حيثما رجعنا البصر فى الوجود التاريخى لامتنا العريقة .

ثانيا : غلبة مفهوم الاسلام على الايدلوجيات البشرية فالاسلام يحقق غاية الاقتصاد الاسلامى الاساسية وهى اسعاد البشرية فردا ومجتمعا فانه يسمح للفرد ان يكسب من المال ما يشاء فى أطار الحلال ثم عليه واجبـات ومسئوليات نحو المجتمع الذى يعيش فيه فان صاحب المال مطالب ان يؤدى نسبة من ماله سنويا لابناء المجتمع المحاويج .

ثالثا : كذب ادعاء الشيوعية فى موقفها من نضـال الشعوب ضـد الاستعمار فان التاريخ العالمى السياسى لم يشهد تحكما اشد عنفا فى مصير الشعوب المقهورة من سيطرة الشيوعية التى تمارس ابشع انواع الاستعمار وانتهاك السيادة الوطنية .

رابعا : اهدرت الشيوعية الحرية الشخصية فى سبيل تحقيق المساواة وضحت الراسمالية بالمساواة فى سبيل تحقيق الحرية الشخصية ، أما الاسلام فانه لا يلغى المساواة من اجل الحرية ولا يلغى الحرية من أجل المساواة ولكنه يجمع بين الحرية والمساواة فى وقت واحد ، حيث يربط الاسلام الاقتصاد بالدين (الزكاة والحج والانفاق) ويقوم المفهوم الاسلامى للاقتصاد على التوازن والتكامل ويستمد مصدره من الحلال وحده وينكر الربا والمصادر المحرمة .

الباب الأول

مدخل تاريخي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يمكن فهم الشيوعية الا بدراستها من خلال تاريخ الفكر الغربى نفسه ذلك أن الشيوعية لا يمكن أن تقدم نفسها للبشرية على انها مذهب مستقل او ايدلوجية حرة او عقيدة خالصة ، وانما هى ثمرة من ثمار الوضع السياسى والاقتصادى الذى قام عليه المجتمع الغربى بعد عصر النهضة بكل ماينطوى عليه من مفاهيم وتحديات فهى واحدة من مراحل التطور الغربى الذى بدأ بالثورة على الكنيسة وقيام البروتستانتية ونشأة النهضة الصناعية وما اتصلت به من زحوف الاستعمار الى قارتى آسيا وافريقيا .

وقد نشأ نتيجة تصاعد الراسمالية الغربية وغلوها وسيطرتها تيار يرمى الى مقاومة الاحتكارات والسيطرة الطاغية واقرار حقوق العمال ونشأت من جراء ذلك نظريات ومذاهب حاولت ان تواجه هذه الأوضاع بأسلوب التدرج والاصلاح ، غير انالنظرية الماركسية التى تشكلت من بعد كانت تستهدف أمرا أبعد مما كانت ترمى اليه حركات دعاة الاشتراكية فقد جاءت تستهدف خطة تقوم على العنف والصراع الطبقى واثارة العمل لايقاد الثورة وتدمير الأنظمة القائمة . فقد كان هدف الماركسية تمزيق المجتمع الاوربى واثارة بعضه على بعضه الآخر وايقاد نيران الحقد واضطرام أوار الخصومة بين جنباته سعيا وراء اسقاطه كلية فى يد اليهودية العالمية التى كانت تخطط لهذه السيطرة منذ وقت بعيد والتىكانت تملك الذهب والمصرف وامبراطورية الربا وتختفى وراء كل القوى الزاحفة الى آسيا وافريقيا وكان المرابون اليهود هم الذين يتحركون من خلف الاستعمار البريطانى والفرنسى فى الهند ومصر والمغرب ومن هنا فان للشيوعية أرضية تاريخية مزدوجة ، تربطها بالمجتمع الراسمالى الغربى انها ثمرة تطوره ، ثم هناك رابطتها باليهودية العالمية من حيث انها هدف من أكبر اهدافها وتجيء الثورة الروسية مرحلة تالية للثورة الفرنسية وامتدادا لها ، فان الثورة الفرنسية هى نقطة البدء فى التحرك اليهودى الى خارج الجيتو فقد أستطاعوا تحطيم القيود التى كانت تسيطر على حركتهم والتى وضعتها الكنيسة بهدف عزلهم عن المجتمع المسيحى والحد من نفوذهم الخطير الذى كانوا يسيطرون به على الاقتصاد الاوربى

والمجتمعات الأوربية ومن الثورة الفرنسية بدات الخطة اليهودية التلمودية تخرج الى النور لتسيطر على المجتمع الأوربى والفكر الأوربى والاقتصـــاد الأوربى ثم كانت الخطوة التالية التى كشفت بروتوكولات صهيون عن هدفها السيطرة على العالم وذلك بعد تمزيقه الى قوتين متصارعتين فكانت النظرية الماركسية هى نواة الثورة الشيوعية الروسية .

وقد استطاعت اليهودية التلمودية ان تقطع مراحل واسعة فى الفترة الواقعة بين الثورة الفرنسية الى الثورة الروسية فى هدم مقررات المسيحية وتدمير الدولة المسيحية الأوربية واحتواء البروتستانية حتى جاءت الشيوعية لتتهر الفكر التلمودى كله فى مذهب متكامل فقد استطاعت الماركسية ان تستوعب سموم الفكر الماسونى التلمودى اليهودى لتظهره فى نظرية خادعة تتملق عواطف الجماهير بالدعوة الى فردوس ارضى كاذب وتستغل ما بين الطبقات من تفاوت وركوب التيارات الوطنية والقومية ومهادنة الدين ومحاولة التعايش مع النظم المختلفة لمرحلة من مراحل السيطرة والتمكن .

وقد اتخذت اليهودية العالمية من الشيوعية وسيلة للتغلب على العالم والوصول الى السيطرة وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم وقد كون ماركس رايه مقدما بصدد هذه النظرية ثم أخذ يلتمس الأسانيد والمبررات لهذا الراى فقد اصدر البيان ١٨٤٨ ولم يكن قد قام بتلك الدراسات التى نشرها فيما بعد والتى صدر الجزء الأول منها ١٨٦٧ ويتبين من ذلك أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمى بل كان البحث العلمى الذى قام به فى هذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التى اعتنقتها مقدما .

لقد كانت النظرية تستهدف غايات واضحة :

أولا : الحقد على البشر ، قبل النبوغ ، التـــآمر واثـــارة الصراع بين الطبقات .

ثانيا : معارضة الوطنية والقومية والدين والملكية والفردية وحرية الراى

ثالثا : العمل على تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصورا على السلطة الحاكمة نفسها .

رابعا : القضاء على كل الأديان غير اليهودية والعمل على نشر الألحاد

ثم جاءت الثورة الشيوعية الروسية كما خطط لها اليهود وبعد امدادها بالماء والتواطؤ مع اعداء الدولة الروسية حتى استطاعوا اقامة هذا النظام الذى مزق العالم الى قوتين متصارعتين : الراسمالية فى مقاتل الشيوعية وكلتاهما فى يد اليهودية العالمية .

ولقد كانت الثورة الفلسفية من تصميم اليهود وكان مايحقق فى روسيا بفضل العقلية اليهودية التى صنعت الشيوعية وكان زعيم الشيوعية وواضع اسسها الحاخام الأعظم كارل ماركس اليهودى المتعصب تعبيرا عن النفس اليهودية المليئة بالحقد على جميع طوائف البشر ورغبة فى الانتقام بها ، وكان المنفذ للدولة الشيوعية واحد من اخطر الماركسيين هو « لينين » وهو واحد من اخطر واضعى بروتوكولات صهيون .

ومن هنا فقد يتكشف ان الشيوعية هى فكرة تلمودية يهودية لها دورها فى تنفيذ المخطط الخطير الذى يرمى الى تحطيم الاديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الافراد والشعوب وتجلى ذلك الهدف الواضح من اقامة الدولة الشيوعية فى نفس الوقت الذى يستعلن فيه قرار وعد بلفور باقامة الدولة الصهيونية فى قلب فلسطين .

وان تكون الخطة قائمة على القضاء على الدولة العثمانية كتمهيد لهذه الغاية او كما يصورها احد الباحثين بقوله :

ان الافعى اليهودية فى طريقها الى اورشليم قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الاسلامية ولم يكن مفر لها من تدميرها قبل الوصول الى اورشليم واقامة دولة اسرائيل .

والمتتبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللادينى وانحياز تركيا الى اسرائيل ضد العرب ، فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبوءات الأستاذ سرجى نيلوس مترجم بروتوكولات حكماء صهيون التى اطلق عليهـا الانجيل البلشفى وهو أول من نشره فى العالم باللغة الروسية ويتصل بهذا مما تفصله الوقائع خلال البحث الصلة الوثيقة بين ماركس وبين مخططات الصهيونية التى كان قد اعلنها « موسى هيس » صديق ماركس والذى كانت أيدلوجية تحقيقا للهدف المقصود بل ان المؤرخين يؤكدون بأن المسودة الاولى للبيان الشيوعى الذى اصدره ماركس كانت من وضع موسى هيس فيلسوف الصهيونية الاول وان البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس عام ١٩٤٨! كان بأمر من الماسونية فقد كان كارل ماركس صهيونيا ماسونيا .

ثم كان تعهد لينين لليهود فى ابان نضاله لاقامة الدولة الشيوعية بالعمل على انشاء دولة اسرائيل فى فلسطين .

ويتصل بهذا دور « فرويد » فى المخطط فقد كان تابعا للمنظمات الصهيونية وكان دوره مع صديقه هرتزل هو عمل خطة لتدمير العالم خلقيا واجتماعيا ومن ثم كانت نظريته فى التحليل النفسى على النحو الذى عرف من بعد دعوة الى اتخاذ الجنس مصدرا للعواطف والتصرفات الانسانية وتبنى اليهودية التلمودية لهذا الخط حتى نص على ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون بقولهم أن فرويد منا .

ونحن حين نضع الشيوعية فى موضعها الصحيح ونردها الى مكانها الحقيقى من تاريخ الغرب فى العصر الحديث ومن موقع الأهواء التى تجتاح العالم كله تحت لواء امبراطورية الربا الطامعة فى وراثة الاستعمار الغربى نكشف عن الخلفيات الحقيقية التى لا يمكن مواجهة الشيوعية الا بفهمها والتعرف عليها .

* * *

هناك رابطة واضحة واكيدة بين اسقاط اليهودية العالمية للامبراطورية الروسية القيصرية ، وقيام الدولة البلشفية واسقاط دولة الخلافة الاسلامية واقامة اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى فهذه جميعها وحدة واحدة لا تنفصل ولا تتجزا ، وان بدت فى ظاهر الأمر كأنها قضايا مختلفة ، فقد استطاعت قوى الاعلام الغربى والصهيونى ان تحول دون التقاء هذه الأجزاء ، فاذا جاء صوت من اصوات الحق ليعلن أن الصهيونية والشيوعية من منبع واحد ، وان الشيوعية وليدة الصهيونية بدت الدهشة على وجوه الذين لا يتعمقون الأمور والواقع ان الصهيونية والشيوعية من اصل واحد وهما يتآمران على نشر الالحاد وبلشفة العالم الاسلامى وان اليهود هم اول من اسس الاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية .

وقد اشار الباحثون الى ان الشيوعية هى احدى فرق الماسونية ، ويتكون من اعضاء الماسونية الملوكية الذين وصلوا الى درجة رفيق (لينين — ستالين — تروتسكى) ولهذه الفرقة محفل واحد فى نيويورك لا يدخله من اليهود الا قليل . وهدف الماسونية الحمراء هو اقامة دولة شيوعية عالمية كخطوة لاعلان الدولة اليهودية العالمية لأن اعلانها عن هدفها صراحة يؤلب عليها العالم ولكنها حاولت الدخول الى العالم بأسلوب براق .

والهدف النهائى هو اعلان الدولة اليهودية العالمية وتعيين احد من ذرية احد اسباط اسرائيل ملكا على العالم كله .

وقد جاء فى بيان المشرق الأعظم الفرنسى والماسونى عام ١٩٠٤ أن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها ماركس وانجلز ولقد كان محفل الماسونية الحمراء وراء الثورة الفلسفية فى روسيا — كما كان وراء الثورة الفرنسية من قبل — وانه على اثر المذابح التى قامت بها روسيا القيصرية ضد اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر تقرر تقويض دعائم الدولة القيصرية فى روسيا واقامة الدولة الشيوعية مكانها .

وقد عقد حايم وايزمان ١٩١٦ محادثات مع لينين قبل نجاح الثورة تقرر فيها فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية لاقامة وطن قومى لليهود وكان أول عمل للثورة الشيوعية فى روسيا ١٩١٧ اعتبار العداء لليهود جريمة

يعاقب عليها القانون واعلان ان الحكومة السوفييتية تؤيد الحــق الكامل لليهود فى انشاء وطن قومى لهم فى فلسـطين وقد تشكلت الحكومة الشيوعية الأولى من ٢٢ وزيرا منهم ١٧ وزيراً يهوديا .

وقد دخلت روسيا الحرب العالمية بجانب الغــرب الرأسمالى لتحقيق أطماع اليهود فى فلسطين وللقضاء على المانيا الهتلرية الد أعداء اليهود والتعاون بين روسيا وأمريكا ليس تعاونا عارضا ولكنه تعاون اصيل وجد يوم سيطرت الماسونية على القوى السياسية فى كل من امريكا وروسيا .

* * *

يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : لقد استولى اليهود على مقاليد الحكم فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى فى ٨ اكتوبر ١٩١٧ ومن الغريب أن الشيوعية قد هاجمت جميع الأديان (وخاصة الدين الاسلامى) .

وغضت الطرف عن (الخرافات اليهودية) وقد برر لينين ذلك بقوله : أن حجز الزاوية فى راى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما المأثور ان الدين هو (افيون الشعوب) ولقد كان راى ماركس على الدوام فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع من أنواع المؤسسات الدينية انها صدى للرجعية وان لا هدف للأديان الا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير ، اما الخرافات اليهودية وان كانت لا تختلف عن باقى الأديان ولكن بقـــاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم . ذلك أن اليهود اذا نبذوا دينهم حينئذ ينتهون فى الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفتقدون اسرائيليتهم ولمحافظة اسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى اسرائيل غير الدين ومحـــافظة الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهود المختار لريثما ينالوا حقوقهم ، ان هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من خطط محاربة الأديان يبرهن على ان الشيوعية انما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فاذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فان الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى وقد نشر ستالين مقالة فى جريدة (تومسه مولكايا برافدا) فى ١٦ ايلول ١٩٤٤ جاء فيها أن دولة السوفيات الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفا محايدا تجاه الدين فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة فى حين ان الدين يناهض المادة (يقصد المسيحية) الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء فكما ان هاتين المادتين لا تتحدان واحداهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية ابدا فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض) أ هـ .

ولذلك أجاز القانون الأساسى الشيوعى تعليم الدين الى النشء بعـد اجتيازهم سن الرشد (٢٢ سنة) ونص على ان تعلم الدين للاطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها . ان سياسة التربية الشيوعية تفرض على الانسان

ان يترعرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزىء بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية الى ان يبلغ سن الرشد السوفيتى (٢٢ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية وقد ادت هذه السياسة الى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين باستثناء الدين اليهودى اذ يسمح لليهود فقط ــ كماقال لينين ــ بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لان الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار لريثما ينالوا حقوقهم .

وهكذا برر لينين الحماية الشرعية للدين اليهودى .

ان لينين يعترف اذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفيتية فى بداية حكمها عام ١٩١٧ الى اصدار جملة قرارات كان اهمها اعلان التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين .

واذا سألنا ما هى حقوق اليهود فالجواب هو (ماركسيا وصهيونيا) تنفيذ مرامى واهداف الايدلوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى لاعتبار :

١ ــ ان الأرض كل الأرض وما فيها من ميراث لبنى اسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها .

٢ ــ ان كل شريعة غير شريعة بنى اسرائيل هى فاسدة .

٣ ــ ان كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة .

٤ ــ ان كل شعب حر غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاصب .

٥ ــ ان الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة .

وهكذا اصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم ان يسيطر اليهود على جميع الناس ــ يقول كاى مردخاى (أو : كارل ماركس) ان المشكلة اليهودية لاتحل نهائيا الا بالتحول الاشتراكى للعالم بأسره واذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية او الاشتراكية العلمية أو التقدمية الثورية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وبما ان التقدمية الثورية (فكر وحركة وهدف) تعمل لاخضاع المجتمع البشرى كله الى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات

الماركسية فى العالم يرى اليهود انهم اصلح البشر بصفة كونهم شعب الله المختار لاحتلال مركز القيادة التى هى الاسم العصرى لعقيدة شعب الله المختار اليهودية . وقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحول الاشتراكى وان تؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم (وخاصة الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية) بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وانها تعمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك يتمكن من احراز عطفه ومساعدته على اقامة الوطن القومى اليهودى ثم الالتفاف بعد تحقيق ذلك للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية بالسيطرة (ماركسيا وصهيونيا) على العالم كله ، وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية .

وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى — قاعدة العمل الماركسى — والصهيونية سوى التكتيك المرحلى الذى تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت الراهن وطبيعى ان السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم الا بعد تهديم العالم الاسلامى واضعاف الشعوب الاسلامية » .

* * *

بدات الثورة الروسية فى ١٩١٧/١/٩ مسلسلة من حركات الاعتصـــاب والاضراب العام فى المصانع هدفها هدم العنصرية وسياسة آل رومانوف وقام عام ١٩١٨ فى روسيا نظام ديكتاتورى يتجاهل حقوق الأفراد ويستمد من كارل ماركس .

وقد ثبت بالتجربة مـــدى الفارق بين الواقع التطبيقى وبين نظـــريات كارل مـاركس ، وقد وضع لينين تفسيرات جديدة اطلق عليهـا الماركسية اللينية وقد اعلن لينين منذ اليوم الأول تصريحه الخطير المشهور: ان الماركسية اللينينية لا تعترف بوجود اى قوى فوق الطبيعة ولا اى خالق ، وانها تحرر الانسـان مرة واحدة وألى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية ، ان الماركسية اللينية تنظـــر الى العالم كما هـــو قائم دون أن تضيف اليـــه مخترعـــات الجنـــة والنـــار .

ص ١٦ (ك : اسس الماركسية اللينينية . الطبعة ألانجليزية موسكو ١٩٦٤) .

وقد اجمعت المصادر على ان الثورة الشيوعية فى روسيا قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وان كل زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وســـــتالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى او لهم زوجات يهوديات .

وقد نشرت مجلة افريكان هيبرو كبرى المجـــلات اليهودية فى أمريكا فى ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ تقول : أن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وانها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون الى خلق نظام جديد للعالم وان ما تحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم ويقول موشى سنيه الزعيم الاسرائيلى : ان كل يهودى يعلم فى اعماق نفسه من كان اعظم واحرص على صداقتهم ، انه الجمهورية السوفيتية ، ويقول لا استطيع ان اتصور يهوديا يقوم بدور العداء للاتحاد السوفييتى ومثل هذا اليهودى غير طبيعى وتشويه لكل الحقائق .

ولقد كانت روسيا السوفيتية هى اول الدول بعد امريكا التى اعترفت بقيام دولة اسرائيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة واعلنوها على لسان كثير من زعمائهم وقد رد اليهود لروسيا الجميل بأن سلموها اسرار القنبلة

الذرية التى كانت امريكا وحدها هى التى تعرف اسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، هذه القنبلة التى كانت سببا مباشرا لانهاء الحرب مع اليابان بعــد القاء اثنتين منها على المدنيين اليابانيين فى هيروشيما وناجازاكى .

ولقد عمل اثرياء اليهودية فى العالم على تمويل الثورة الفلسفية ودعمها وان مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد ثورة ١٩١٧ كان مكونا من عشرة من الاعضاء من بينهم ستة من اليهود وان لينين وستالين من اصل يهودى وقد كان ستالين متزوجا من يهودية وان اربعة من اعضاء مجلس السوفيت الاعلى من اليهود وان خورشيوف ومولوتوف كلاهما كانا متزوجين من يهــوديات

واذا اردنا ان نتعرف الى النفــوذ اليهودى فى الاتحاد السوفيتى فاننا نجد ان هناك ، مليون يهودى مثبتين فى اوساط البحث العلمى ، ويوجد ثمانية آلاف نائب يهودى فى مجلس السوفيت الاعلى والمجالس الاتحادية ، ويوجد يهود بين الوزراء وقادة المصالح والمؤسسات الضخمة وقد هاجر خلال الفترة الأخيرة الى اسرائيل عدد كبير من العلماء والخبراء فى الشئون العسكرية والذرة والتكنولوجيـــــا .

ويقول دكتور احمد عوف ان لينين من مخططى الصهيونية ومن واضعى بروتوكولات حكماء صهيون وانه حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا وان الثورة الدولية ليست من طبقة البوليتاريا بل من طبقة اليهود وان أول رئيس فى دولة روسيا زعيمة اليسار العالمى كان اليهودى (كليمنيف) وتلاه الارهابى اليهودى مضرولوف وتبعهما اليهودى زينوقيف .

وقال ان الذين يحكمون الآن ليسوا هم الروس ولكنهم حفنة من اليهود الارهابيين العالميين والمعروف ان جوليوس روزنبرج وزوجته اثيل اليهودية المتجنسين بالجنسية الامريكية وهما من كبار علماء الذرة قاما بنقل اسرارها الى روســيا لتستطيع ان تقف موقف الند من الولايات المتحدة وقد قدما الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى وثبتت التهمة عليهما وتم اعدامهما فى ١٩٥٣/٧/٢٠ رغم محاولات الصهيونية العالمية لتخفيف الحكم وقد قــام علماء الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة .

* * *

عملت البلشفية منذ ان سيطرت وحكمت حكم القياصرة على وضع قواعد للعمل الماركسى فى الساحة الاسلامية والعربية فكان مؤتمر باكو الذى اشرف عليه اليهودى الماركسى كارل راديك (يوليو — اغسطس ١٩٢٠) الذى اطلق عليه حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية الاسلامية . وقد قام هذا المؤتمر على خدعة كبيرة : فقد وجه نداء الى المسلمين جاء فيه (ياشعوب الشرق : انكم تملكون اغنى بقاع العالم واخصبها واوسعها هذه البقـــاع كانت مهد الانسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة : الاستعمار والرجعية التى تفترسكم وهى السبب فى تخلفكم : بريطانيا فى مصر وبلاد العرب وما بين النهرين والاستعمار البريطانى فى فلسطين .

وقد وقع بيان باكو مجموعة من اليهود الروس والبلغاريين والفرنسيين والهولنديين تحت زعامة زينوفيف اليهودى .

وقد فشل المؤتمر لأن المسلمين فى روسيا قد ثاروا لمــا وجدوا من عنف التحدى للعقيدة الاسلامية .

وكانت هذه خدعة موجهة للعالم الاسلامى .

وهناك خدعة اخرى وجهت للمسلمين فى المناطق الآسيوية .

وكان ستالين ولينين قد اصدرا منشورا يطمئنان فيه الشعوب الاسلامية (١٧ ديسمبر ١٩١٧) جاء فيه :

ايها المسلمون : اديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة من كل اعتداء ، اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها ، اننا نرفع علمنا لهذه الشعوب المتعبدة فى روسيا » .

ولم تلبث الحكومة البلشفية ان خدعت المسلمين واغارت عليهم ، فى غدر وخسة ونذالة فى ابريل ١٩١٨ اصدر لينين امرا بزحف الجيـــوش

الروسية على البلدان الاسلامية دون سابق انذار فأخذت الدبابات تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الأعزل الآمن دون تمييز ولم ينته عام ١٩١٨ حتى كانت جمهوريات (ايدل اورال والقوقاز والتركستان) وقد غدت تحت حكم البولشفيك المباشر كما هاجم شبه جزيرة القرم ستون الف مقاتل‌شيوعى وقد قاومهم المسلمون مقاومة مستميتة وفى ١٩٢٠ اتمت موسكو احتلال شبه جزيرة القرم وفى عام ١٩٢١ هجم الروس على جمهورية بخارى وشرعوا فى تطبيق انظمتهم الشيوعية فالغوا الملكيات وصادروا الأموال والثروات والغوا التعليم الدينى واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وحولوا المساجد الى دور للهو ومكاتب للمندوبين فى الحزب الشيوعى .

وهكذا فرضت الشيوعية بقوة السلاح نفوذها على مناطق اسلامية واسعة فى القوقاز وازربيجان والتركستان وقازان وغيرهما وما زالوا يعملون على صهر هذه المناطق ولكن اهلها يعملون ما وسعهم على أن يقاوموا الشيوعية ويترقبون الفرص للخلاص وقد خاضت الشيوعية اعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للانسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحـــاد السوفيتى من تعذيب يشيب لهوله الولدان الى تجويع حتى الموت ، ونفى لمئات الألوف الى معسكرات الاعتقال بسيبريا الى اعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٥ مليونا فى بدء الثورة الشيوعية الى ٢٢ مليونا فى الوقت الحاضر وكا نعدد مساجد المسلمين فى روسيا فى بدء الثورة الحمراء ١٩١٧ عشرة آلاف مسجد وعـــدد علماء المسلمين ٢٧ الفا وقد تناقص عـــدد العلماء حتى وصل الى ٤٠٠ عالم واغلقت الحكومة السوفيتية ٨ آلاف مدرسة اسلامية .

وقد بلغ ضحايا الحكم الشيوعى فى المسلمين حسب المصادر السوفيتية نفسها ثمانمائة الف ما بين ١٩١٧ / ٢٧ ويمكن القول ان المسلمين فى القوقاز والتركستان وغيرهما من الاقاليم الاسلامية فى نطاق الاتحاد السوفييتى قد قاوموا طوال خمسين عاما حفاظا على دينهم وثقافتهم رغم الاذلال والتعذيب وقد ظل العالم الاسلامى صامدا فى وجه الزحف الماركسى ٥٨ عاما .

* * *

تجمع المراجع التاريخية على ان اليهود استطاعوا السيطرة على المجتمع الروسى قبل قيام الثورة الروسية ، وهم الذين اموا بتدبير تلك الثورة ثم مارسوا خططهم فى بناء مجتمع ما بعد الثورة ، وهذا يعنى امتداد السيطرة الصهيونية على الشعب الروسى ، وبالرغم مما منحه القيصر اسكندر الثانى لليهود من امتيازات وعطف خاص عليهم عام ١٨٥٥ فقد قابلوا ذلك بالغدر والكيد له فحاول زعماء المرابين اليهود اغتياله خوفا من استمرار عطفه على الرعايا اليهود من شعبه مما يؤدى الى شعورهم بالولاء على حساب انتقاص ولائهم للدعوة الصهيونية وخوفا من أن يذوب هؤلاء اليهود فى المجتمع الروسى فتنتهى شخصيتهم أو يندثر كيانهم ، لأن هدف تخطيط زعماء اليهود كان يقضى ببقاء اليهود فى عزلة مستمرة عن باقى الشعوب ، ولهذا دبروا اغتيال القيصر صاحب الاحسان اليهم بعد ان افلحوا فى تدبير زيارة خاصة يقوم بها القيصر الى احدى الفاتنات من بنات انهوى فاغتالوه فى منزلها ١٨٨١ وكان اغتيال القيصر اسكندر الثانى بأيدى اليهود سببا فى سرعة الانطواء اليهودى فى المجتمع الروسى ، وكان هذا هو ما اراده زعماء المرابين اليهود ، وعندئذ تحركت مؤسسة روتشلد بالاتفاق مع الاعلام المسموم التنديد بالوحشية وبالاجراءات التعسفية التى اضطرت الحكومة الروسية الى اتخاذها ضد اليهود الغادرين ، وارسلت مؤسسة البارون روتشلد وفدا يهوديا الى روسيا لتقديم احتجاج للقيصر الجديد بمناسبة عودة اليهود الى عزلتهم وبدء التضييق عليهم .

وكان ذلك بمناسبة تغطية على فضيحة المؤامرة التى راح ضحيتها القيصر .

وقد اصدر القيصر بيانا فى ١٨٨١/٤/٣ جاء فيه أن الحكومة الروسية بذلت واعطت عنايتها باليهود منذ فترة طويلة بقصد حل مشاكلهم الا أنها لاحظت ما فعله اليهود من أعمال وتصرفات تخريبية فى مجالات الحياة وخاصة فى التجارة التى احتكروها وفى شراء واستئجار العقارات ومن ثم بدأوا يتكتلون للعمل السرى بقصد تخريب الاقتصاد وسلب موارد البلاد .

وبذلك اعتبرت مؤسسة روتشلد أن صدور هذا البيان لطمة كبرى لها . ومنذ ذلك الوقت بدأت خطة العمل الصهيونى فى تدمير المجتمع الروسى كله .

وقد افتعلوا أزمة ١٩٠٥ بين روسيا واليابان ونشطت اجهزة التجسس اليهودية فى تعميق الخلاف بين الدولتين ونجحوا فى اشاعة روح الارهاب والقلاقل وانتقموا ممن قاموا بحركة تأمين البلاد ضد اليهود . واصدر القيصر بيانا عن العملاء والفتنة والمؤامرة اليهودية والقاء المسئولية على عاتق زعماء المرابين اليهـود واعتبـارهم مسئولين مسئولية مباشرة عن كل القـلاقل السياسية .

وبدأ العداء يشتد بين اليهـود والقيصر ، فاتجهوا الى تكوين خلايا ارهابية هدفها اغتيال القيصر . وفى هذه المؤامرة أعدم شقيق لينين وكانت أموال المرابين اليهود تدعم الثورة الداخلية ، وقد نسقت الصهيونية العمل بين جبهتى الحرب (روسيا واليـابان) وتولت مؤسسة روتشـلد امداد الحكومة الروسية بالقروض لتستمر فى الحرب ضد اليابان ، وجرت تغذية حركة التذمر فى الجيش القيصرى والدعوة الى عدم كفاية القيادة القيصرية وتمت الخطة كلها كما رسمها المرابون اليهود ، فى مؤسسة روتشلد ونشطت الدعاية الناجمة عن الهزيمة ضد القيصر وفشل حكومته .

وحدثت مفاجأة لم تكن تتوقعها الصهيونية اذ قام تروتسكى بثورة مفاجئة ضد القيصر وحكومته فاضطرت الصهيونية أن ترجىء ضربتها للقيصر حتى لا يتقاسم معها تروتسكى ثمرة النصر على القيصر ، ووقفت الصهيونية مرة أخرى بجانب الحكومة وعاونتهـا على استرداد بطرسبرج العاصمة فى ١٨٩٥/١٢/١٦ من أيدى ثوار تروتسكى .

وبدأت حملة التشهير ضد القيصر وأسرته ودسوا له راسبوتين المحتال العميـل وجعلوا من قصص راسبوتين مادة لاثارة الشعب بالسخط على القيصر ، وكان ذلك تمهيدا للثورة البولشفية التى قامت فى ١٧ أكتوبر ١٩١٨ فى أثناء الحرب العامة كما ارادها المرابون ، وانتهت الحرب وروسيا بعيدة عن الاشتراك فى معاهدة الصلح التى صاغ نصوصها اليهودى يعقوب شنف وكان بول دار بورج اليهودى هو مستشار الوفد الذى اشترك فى معاهدة السـلام وماركس داربورج هو رئيس الوفد الألمـانى وهربرت صمويل اليهودى هو أول مندوب سامى لفلسطين ولوشبان وولف اليهودى مستشار رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) ومادل روتشـلد مستشـار الرئيس كلمنصور ومورد جيتراد اليهودى مستشار الوفد الأمريكى ، وتم اعداد العدة لمعاهدة فرساى ليتولى الفريق المختار من الصهيونيين وضعها فى القالب المعد لها ، وتمت صفقة الوطن القومى لليهود وتصريح بلفور .

ولم تلبث الشيوعية ان تسللت الى العالم الاسلامى فى شراع خادع وعن طريق كفاح العالم الاسلامى للاستعمار الغربى والغزو الصهيونى وادعاء الاتحاد السوفيتى مناصرة حركات التحرير ومعاداتهـا للصهيونية والاستعمار ، وقد استطاعت روسيا الشيوعية الماركسية اللينينية أن تخفى حقيقتها وتخـدع بدعواها الباطلة بعض قادة المسلمين والعرب ، وعلت صيحة الاتحاد السوفيتى الذى ادعى كذبا وبهتانا انه صديق حميم للعرب وعدو لدود للاستعمار والصهيونية ، وقد تجاهل أو اغفل القـادة عن هذه الخلفيات التاريخية الخطيرة ولم يتبينوا الا بعد وقت طويل ان الماركسية فى اساسها دعوة صهيونية وان كبار مؤسسيها من اليهود الذين هم اشد عداوة للاسلام واهله .

وقد نشأت الحركة الشيوعية فى العالم الاسلامى (والبلاد العربية) بتمويل اليهـود وتخطيطهم ، ومن اليقين ان القنطرة التى عبرت عليهـا الشيوعية من بلادها فى الشمال الى بلادنا هى الصهيونية . فقد كان مروجو الشيوعية الأولية من اليهود الصهيونيين وأن الحركة الشيوعية فى مصر نشأت بتمويل الثرى الصهيونى المعروف هنرى كوريل وتوجيهاته وانها كانت تتلقى تعليماتها من الخارج وكانت على عاطفـة وولاء للوجود الصهيونى فى اسرائيل ، وقد كشفت من بعـد أن الشيوعية فى روسـيا والصهيونية فى اسرائيل قامتا بتخطيط من اليهودية العالميـة وتدبيرها ، وأن لليهـود فى كل من الدولتين الكلمة العليا والشوكة النافذة .

وان العلاقة بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل علاقة وثيقة لأنها علاقة بين شقيقين ولدتهما أم واحدة هى (الصهيونية) وهذه العلاقة يعترف بها اليهود ويفاخرون بها .

ومن مؤشرات الأحداث ان الركائز الشيوعية فى البلاد العربية بدات ، وان الحزب الشيوعى شكل اولى خـلاياه فى حيفـا ويافا وكان من رأيه قيـام دولة يهـودية فى جزء من البـلاد ، وقد حمـل لواء الاستعطاف

لحال الشعب اليهودى المشرد الذى عانى الاضطهاد ، ثم تعــددت المراكز فى سوريا ومصر والعراق وغيرها ، وكان لها موقفها من الولاء للاستعمار ، ومن انحيازهم ضد حركات الاستقلال فى سوريا والجزائر ولبنان فى ولاء مع فرنسا ، وقد كان أغنياء اليهود هم ، ممولو هذه الخلايا والاحزاب ، ومنذ عام ١٩٢٠ كانت التبعية واضحة فى التخطيط والتنفيذ للشيوعية الســوفييتية بمفاهيم تلمودية قائمة على الخيانة والغدر والشر والخداع والحقد الواضح للأمة الاسلامية والعربية . وقد اشار كثير من الباحثين ان هدف الشيوعيين العرب الاساسى هو التبعية لمخططات الاتحاد السوفييتى فى المنطقة العربية والتبعية فى التنفيذ لليهودية العالمية لان الشيوعية وليدة اليهودية ، ولان اقامة اسرائيل من النيــل الى الفرات هــدف اساسى فى الاســتراتيجية الثابتة للشيوعية ترمى الى الاشتراك مع الراسمالية الفردية فى اعتصار عالم الاسلام : ثروته وقوته .

ولقد تبين ان جميع مؤسسى المنظمات الشيوعية فى مصر والعــراق وسوريا هى منظمات شيوعية روسية ومنظمات شيوعية صهيونية وأسماء معروفة (جوزيف روزنتال) ، فيحدور ، تاراب ، هنرى كوريل صــاحب بنك كوريل فى مصر ، هيكل شفادتش . وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية فى مصر وحدها فى عام ١٩٥٤ أربع عشرة منظمة وفى عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعى الايطالى رؤساء هذه المنظمات الى الاتحاد فاتحدت فى يناير ١٩٥٨ تحت اسم (الحزب الشيوعى المصرى) .

ويعزو الدارســـون لهذه الحركة ان ظاهرة كثرة انشـــاء المنظمات الشيوعية بعد عام ١٩٤٢ أنه هو العام التى بدات فيه الصهيونية جــاهدة لاقامة دولة اسرائيل فى فلسطين وقد باركت المنظمـــات الشيوعية قيــام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وكانت روسيا اول دولة اعترفت باسرائيل ثم تبعتها امريكا وعملت روسيا على مد الدولة الوليدة بالســلاح والعتــاد والقوة البشرية . بينما قامت أمريكا تمدها بالمــال والتأييد الدبلوماسى . وقــد اتخذت هذه الحركة ترارأ بقيادة هنرى كوريل صاحب بنك كوريل فى مصر والممول الاكبر لهذه الحركة بالدعوة الى تقسيم فلســطين قبل قرار الامم المتحدة بعامين ، واتحدت مع حركة ماركسية اخرى يدعمها يهودى آخــر (شوارتز) . ومن العجيب ان رجال هاتين الحركتين قاما بزعامة فروع كثيرة فى التنظيمات الرسمية التى قامت بعد عام ١٩٥٢ ويعزو الباحثون السبب فى نمو البذرة الشيوعية فى مصر والعراق وفلسطين والمغرب الى ان هذه البلدان كانت مركزا قويا للنشاط اليهودى ، وان قيادة الحزب الشيوعى فى العراق استمرت فى يد اليهود العراقيين طيلة ٢٥ عاما ، وفى فلســطين

كانت بين اليهود حتى عام التقسيم ١٩٤٨ حين انقسمت الى الحزب الشيوعى اليهودى والحزب الشيوعى العربى . ومع ذلك ظلت قيادة الحزب الشيوعى العربى بين اليهود الذين اتت بهم اسرائيل من الدول العربية من امثـال جوزيف بيرعز الذى لعب دورا رئيسيا فى تشكيل فروع الحزب فى سوريا ولبنان . ولقد كانت الشيوعية فى تقدير اليهود عاملا هاما فى تفتيت الوحدات القومية وزرع بذور الشقاق والعداء فى المجتمعات المتمايزة ، وقد ادركت اسرائيل انها لكى تضمن بقاءها لابد من اضعاف الكراهية التى يموج بها البحر العربى وامتصاصها وتحويلها الى حب وولاء لدولة اسرائيل .

وفى مدى عشرين عاما نجحت التنظيمات الشيوعية فى اداء واجبها نحو اسرائيل ، وبدات الاحزاب اليسارية فى العالم العربى تتجاوب لهذه الدعوة واصبح محمود درويش هو صلة الوصل بين الحزب الشيوعى العربى الاسرائيلى وبين الاحزاب العربية اليسارية . وصرح جورج حبش اكثر من مرة انه على اتصال دائم بالحركات التقدمية فى اسرائيل . ومن أمثلة التعاون بين الحزب الشيوعى العربى الاسرائيلى ما وقع فى عدوان ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ وقد كان معين بسيسو (الحـزب الشيوعى العربى الاسرائيلى) وزملاؤه طابورا خامسا يسـاعد اسرائيل على الكشف عن الوطنيين وذوى الاتجاه الاسلامى فى قطاع غزة لاعتقالهم .

وتتشابه استراتيجية العمل الحزبى للمنظمات الشيوعية الى حد كبير باستراتيجية الحزب السورى القومى . فكلاهما يلتقى على تمزيق المنطقة العربية الى عدة مناطق . سوريا والجزيرة العربية ووادى النيل وشمال افريقيا . والثابت تماما من الدراسة الدقيقة أن الاحزاب الشيوعية فى الوطن العربى قد حققت عدة أهداف :

اولا : تقويض الاستقرار الاقتصادى والسياسى والاجتماعى .

ثانيا : خلق جو من عدم الثقة بين العرب انفسهم لمنع اى تكتل باسم العروبة او باسم الاسلام والتركيز فى الدعاية على الخطر الصهيونى .

ثالثا : اذكاء العداء بين البلاد العربية وحكوماتها .

رابعا : اظهار الاتحاد السوفييتى بمظهر الحليف للعرب وتعاون فلول حزب البعث مع الاحزاب الشيوعية واضح لا يحتاج الى بيان . وقد صدرت قررات كثيرة تكشف عن هذا الانتماء وكذلك هناك مواقف واضحة فى هذا الاتجاه لحركة القوميين العرب .

واصبحت هناك عملية مزج جديدة بين فرق ستالينية ولينينية وتروتسكية وخروتشوفية ، وهناك كثيرون ممن بدأوا حياتهم وطنيين انتهوا ماركسيين وظهرت اسماء جيفارا وهوشى منه ولينين وجياب وغيرها فى افق عربى مسلم ما كان اولاه ان يعتز بخالد وسعد وصلاح الدين .

وكانت الروابط التى قامت بين البعث والناصرية والشيوعية هى مصدر اساسى لهذه الموجات العاصفة التى تحطمت على اطاراتها كل مفاهيم القومية والاقليمية واليسار والماركسية والشيوعية . وتبين فساد هذه الانظمة وعمالتها وعجزها فى الوقت الطويل عن أن تحقق اى شىء للعرب والاسلام . وقد صاحب هذا تلك المقاومة الخطيرة التى حجبت الفكرة الاسلامية ومنعتها عن أن تكون عامل تصحيح للأخطاء والاخطار التى تعرضت لها البلاد العربية بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ . بل أن هذا الاضطراب كان من اشد العوامل فى الازمات التى قاساها العرب فى مواجهة الاستعمار والصهيونية والماركسية والتى قادتهم الى هزيمة سقوط القدس والجولان وصحراء سيناء وضياع الوطن الفلسطينى ضياعا تاما .

فلقد كان من أكبر اهداف المنظمات الشيوعية التى وجدت فرصتها كاملة فى هذه الفترة ضرب الاسلام وزلزلة عقيدته فى نفوس ابنائه والهجوم الالحادى الخطير الذى جرى شنه على الاسلام وعلى الاديان بصفة علمة . وفى هذه الفترة ظهر العديد من الابحاث والكتب والكراسات الزرقاء المليئة بالشبهات والسموم . وقد حققوا بعض النجاح فى تضليل عدد من ابناء العالم الاسلامى واستغلوا الظروف القائمة حيث كانت الدول الاسلامية واقعة فى قبضة الاستعمار الغربى ، ادعوا انهم اعداء الاستعمار كما ادعوا من بعد انهم اعداء الصهيونية .

وقد كان للاستعمار الغربى دوره الخطير وتبعته البالغة فى افساح المجال للتسلل الشيوعى خلال الحرب الثانية عندما تآمرت دول الغرب مع الدول الشيوعية فى القضاء على المانيا الهتلرية . وقد وصف عبد الحميد عبد الغنى هذه الفترة فقال : كانت الحركة الشيوعية نشيطة ومتفشية ولها عون كبير فى الخارج . فقد كان عدد من محركيها فى مصر متعارنين مع الحركة الصهيونية وكان من اهمهم بل من قادتهم اثنان من اليهود هم هنرى كوريل ومليل شوارتز وفى الوقت نفسه كان هناك جهاز شيوعى دولى كبير هو الكومنفورم يغذى الاحزاب والحركات الشيوعية ويمدها بالمعونة المادية والدعائية ونشطت الحركات الشيوعية فكان حزب تودة الشيوعى فى ايران ولم تكن الحركة الشيوعية فى مصر كبيرة من ناحية اعضائها وانصارها ثم

جاءت فرصتهم الأوسع فى الستينات ولكن سرعان ما انكشف أمرهم فى نكبة حزيران ١٩٦٧ بعد أن مارسوا عدة مؤامرات للاستيلاء على مقدرات الدول التى وثقت بهم وارتبطت بهم ارتباطا وثيقا ، فقد ربط اقتصاد هذه البلاد بخططهم الرامية الى الاستيلاء على المواد الخام ومنافسة الغرب فى احتكاره لها فى محاولة للعمل شبيهة بما فعلوا بدول شرق أوربا التى ساعدهم موقعها الجغرافى على التحكم فيها وضرب محاولات التمرد على سلطانهم فيها بمنتهى العنف والقسوة .

كانت محاولاتهم الخطيرة هى ربط عجلة الانتاج فى بعض البلاد العربية بعجلة الاقتصاد الشيوعى حتى يتمكنوا من املاء شروطهم فى يسر وسهولة .

وقد كانت هذه الفرصة عاملا هاما فى توسع التنظيم الشيوعى فى البلاد العربية واستطاعت الصحف والمسرحيات والمؤلفات وأدوات الاعلام كلها وقد حملت الفكر الماركسى المسموم فى مختلف مفاهيمه المتعارضة مع الدين والأخلاق وحاولت أن تفرض مفهوما اجتماعيا سياسيا واقتصاديا وتربويا معارضا لمفهوم الاسلام الأصيل .

وكان من أخطر مظاهر هذه الحملة تلك المؤلفات التى جمعوا فيها شتى المفتريات التى سبقهم اليها الزنادقة والمستشرقون من أعداء الاسلام ولفقوا فى هذه الكتب ركام الفلسفات الباطنية والوثنية والمادية والمجوسية القديمة .

ولقد كان للكراسة الرمادية ، التى نشرت فى البلاد العربية وهوجمت فيها الأديان عامة والاسلام خاصة ، وخص القرآن بقدر من الهجوم ثم جاء الكتاب الذى ألفه محيى الدينون وزعم فيه مزاعم عن القرآن والاسلام وسارعت وكالة نوفوستى الناطقة بلسانهم الى نفى صدور هذا الكتاب عن طريقهم ، وهدف نشر هذا الكتاب هو القيام بعملية اختبار للحس الاسلامى لدى جماهير المسلمين وضرب الاسلام فى نفوس أبنائه ومحاولة اثارة موجة جديدة من الجدل والبلبلة .

وتعتمد هذه المؤلفات المسمومة على الادعاء بأن الأديان خرافات وأساطير وأفيون شعوب وانها تؤيد الطبقات وتعمل لمصلحة طوائف تبرر القسوة والادعاء بأن رب الاسلام واحد من آلهة العرب القدماء ، وينظم هذه المؤلفات أسلوب السباب الجائر بالرغم من دعوى العلمية والمنهجية وقد تبين أن أحدا من الكتاب المدعين لم يرجع الى أى كتب من كتب الاسلام

المعتمدة . وليس ثمة مصدر استقى منه معلوماته غير الأقلام الشيوعية والصليبية . ويعتمد آراء الزنادقة امثال بشار بن برد والراوندى . وفيه بتر للنصوص وقد تبعت هذه الحملة محاولة اقلام عربية امثال عبد الرحمن الشرقاوى واحمد عباس صالح . فقد حاول الشرقاوى ان يثبت أن الاسلام دين الفقراء وحدهم وانه جاء ليحارب البرجوازية العربيةو عمد أحمد عباس صالح الى اثبات ان الاسلام يسارى النزعة لانه دين الفقراء والبروليتاريا الكادحة .

وقد جرت محاولات كثيرة لاحتواء الفكر الاسلامى قام بها جارودى وردنسون بمؤلفاتهما عن الاسلام .

وقد اشار كثيرون الى هذه الظاهرة الخطيرة . ظاهرة تمكين روسيا من دخول البلاد العربية فقالوا ان انجلترا هى التى عملت على اخراج روسيا من عزلتها حين ادخلتها الى الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الثانية . وفتحت امامها الابواب ، لقد نفذت روسيا الى الشرق لارتباطها مع الحلفاء فى الحرب الماضية واستفادت من الحرب الكبرى ان استغلت الدول المتحالفة فى الدعوة لها والاشادة بمبادئها وجيشها وزعمائها ، وتغلغل الروس تحت هذا الستار الى كل مكان فى الشرق الأوسط . ونشط وكلاء السوفييت وخرجوا عن عزلتهم واعلنت روسيا حمايتها للكنيسة الكاثوليكية ، وارسلت بعثة من عملائها الى الاراضى الحجازية واعلنوا انه فى روسيا ثلاثة ملايين من المسلمين يعيشون فى سلام وامان فى الوقت الذى يعلن فيه دعاة الشيوعية احتقارهم للاديان ويذيقون المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية اشد الوان العذاب والاذلال . وقد وضح من اتفاقية سرية اتفاق الشيوعية والصهيونية على العمل معا فى الشرق وكان من مصالح روسيا الوصول الى البحر المتوسط والبحار الدافئة . وقد حاربت روسيا الكنيسة الكاثوليكية الأرثوذيكية ورجالها ثم عادت الى التفاهم معها على العمل لحساب الشيوعية فى البلاد العربية . وهكذا نجد أن هناك محاولة شيوعية خطيرة تتبنى نفس اخطار الاستشراق الغربى والصهيونى فى محاولة الاجهاز على العالم الاسلامى .

وهى محاولة لتجديد الحوار العقائدى فى نفس الوقت الذى تظن فيه القوى الشيوعية انها اصبحت قادرة على السيطرة على منظمات الشباب والتنظيمات الطليعية وانها تسوقها الى الماركسية والنظرية المادية والالحاد وأن جماعات كبيرة من الشباب قد اوشكت ان تسقط فى المصيدة .

وفى نفس الوقت كانت محـــاولات الشيوعيـــة فى ضرب التنظيمات الاسلامية وحركة اليقظة . بل ان الشيوعيين المسئولين كانوا فى لقاءاتهم مع المصريين يتحدثون عن الدين ويطالبون بالتخلى عنه ، وكان رجالهم فى اجتماعات رسمية مشتركة يتناولون موضوع الدين من الزاوية الخطأ ويعتبرونه عقبة فى سبيل التقدم ، وانه يجب على المصريين حسم موقعهم من الدين كشرط للحاق بالعصر ولاستيعاب روحه .

يقول احد المتصلين بتلك المحادثات : « وكان مبعث دهشتى أن رجلا مثل يونافريوف يعرف المصريين جيـــدا ويعرف مدى تأثير الدين على حياتهم هو الذى يقول هذا الكلام وبعد اعوام طويلة من توطد الصداقة العربية السوفيتية وقال خروشوف : لقد مضى زمن القوميات فى هـــذا العصر ، ليس ثمة صراع الطبقات : طبقات الأغنياء والفقراء . وقد عجز السوفييت عن فهم الخطوط العامة لفكر المسلمين والعرب . وأن كثيرا من وثائقهم كشفت عن معارضة تامة للمفاهيم السياسية العربية عن الوحدة العربية وقضية فلسطين ووجود الأمة العربية . وقد جرت فى هذه الفترة محاولات خطيرة للسيطرة على الصحافة والاعلام لادخال نظريات الشيوعية والصهيونية الى الفكر العربى وكتب كثيرون من عملاء التقدميين فى الصحف والكتب محاولين ايجاد هيئات وانصار واعوان وسمح الاستعمار للآراء الشيوعية الصهيونية بالنفاذ الى المجتمع العربى منذ عقد الأربعينات لأنه كان يطمع أن تتحطم الشخصية العربية ويتبلبل الفكر العربى ويتمزق وتنسلخ اهدافه ويتحول اتجاهه .

وفى أوائل عام ١٩٦٥ ـــ كما يرى الأستاذ لمعى المطيعى(١) ـــ أصدرت التنظيمات الشيوعية فى مصر بيانا أعلنت فيـــه حل منظماتهم والانضمام الى التنظيم الرسمى ، وفى المقابل تم الافراج عن جميع المسجونين والمعتقلين الشيوعيين وصدر العفو الشامل عن جميع العقوبات ضـــد الشيوعيين ، وفوجىء المجتمع بالقيـــادة السياسية تفرض الماركسيين فى جميع المجالات الهامة وخاصة امانة الدعوة والفكر والأمانة السياسية للاتحاد الاشتراكى ومعهـــد الدراسات الاشتراكية ورئاسة مجالس ادارات مؤسسات الكتاب والمسرح والسينما والمؤسسات الصحافيـــة ونقابات الصحفيين والمحامين والنقابات العمالية واللجنة المركزية والبرامج الاذاعية وخاصة صوت العرب والتليفزيون . والسيطرة تحريريا واداريا على أخبار اليوم ودار الهـــلال وروز اليوسف وصفحات الرأى والفـــكر فى الجمهورية والمســـاء والأهرام

---

(١) جريدة الأخبار فى ١٩٧٦/١٢/٦ .

فضلا عن ثلاثة دور نشر ملكية خاصة للماركسيين ومبالغ طائلة رصدتها الدولة ووضعت تحت تصرفهم بدعوى الانفاق منهـا على أوجه النشاط السياسى وغمرت الكتب والصحف والمجلات والمطبوعات والأفلام الماركسية السوق على الأرصفة . وقال لمعى المطيعى(١) ان وراء هذا الغرض من أعلى والسيطرة الماركسية على كثير من المجالات والترويج لأعمال العناصر الماكسية وبدا الأمر كأن السلطة والماركسيين كوجهى عملة واحدة .

وحدثت ردود فعل فى الاتحاد الاشتراكى وبين رجال الدين وفى الجمعيات الأدبية وجاءت محاولات تهـدئة ، وكتبت روز اليوسف ان الشيوعيين قد حلوا تنظيماتهم وانهم سيعملون كأفراد . وكتب محمد عودة فى الجمهورية يقول ان الشيوعية ، لم تطبق بعد فى الاتحاد السوفيتى فلا محل للتخوف من الشيوعية . وكتب احمـد بهـاء الدين مقاله المشهور فى المصور : (٦٠٠ شيوعى امام ٦٠٠ الف رجعى) وكتب محمد حسين هيكل يناشد المجتمع أن يتقبل الأوضاع الجديدة بالنسبة للشيوعيين وأن يفسح لهم مكانا دون حساسية ، ولم يلبث الزمن أن تقدم قليلا حتى أعلنت الجهات الرسمية بأن الشيوعيين لهم منظمات ماركسية سرية منها واحد موال للسوفييت والثانى الى جانب الصين والثالث للتروتسكيين .

ويشير المراقبون أن هناك علاقة وثيقة بين حرب العرب مع اسرائيل فى يونيه ١٩٦٧ وقيام ما يسمى باليسار العربى ، يحمل كلمات براقة يسميها التقدمية وانتقال الملكية كلها للدولة خطوة خطوة وعبادة الفرد ، وقد أعلن اليسار العربى انه يحترف الماركسية اللينينية ويأخـذ بوجهـة نظر لينين فى التطبيق السياسى لها وهو الأخذ بنظام الحزب الواحـد وهو الحزب الشيوعى ، وأن التطبيق الاشتراكى عند اللينينيين هو مبدأ المراحل فى التطبيق ويؤثر اليسار العربى فى حكمه أن يبتدىء فى الوقت الحاضر بالغاء الملكية الفردية ويتخذ ما يسميه اقتصاد الدولة طريقا لتدعيم حكمه ، فاذا اجتمع الاقتصاد القومى فى يد وأمسك برقابة الحزب الواحد لأجهزة الحكم ووسائل الاعلام فى اليد الأخرى ضمن سيادته من جانب وخضوع الآخرين ، ومن يراجع تجربة الاتحاد السوفيتى يجد أن اقتصاد الدولة بعد مرور التجربة الاشتراكية الطويلة لم يستطع أن يبرهن على أنه أفضـل من الاقتصـاد الحـر ، ولكن الابقاء عليه كان بهدف اتخاذه وسيلة فعـالة وعميقة فى اخضاع أفراد المجتمع للدولة والحزب ، والمادية الماركسية تختلف فى هذا عن كل الاتجاهات المادية كلها اذ تقف عند الاقتصاد وحده وتجعله الاله والخالق

---

(١) جريدة الأخبار فى ١٩٧٦/١٢/٦ .

والرازق للأفراد والمجتمعات على السواء ، وتنقل عبادة الله وما له من صفات الكمال الى الاقتصاد القومى فى المجتمع ، وتملك الدولة لراس المال ليس نقلا لملكية الأفراد وحدها اليها فحسب وانما مع ذلك ايضا نقــل لعبادة الأفراد اليها ، وتذا فان الدولة فى النظام الماركسى هى المعبود الذى يتجه اليه الأفراد فى العمل وفى الرزق والذى يجب أن يطاع ولا يعصى له أمر .

ان نقل الملكية الخاصة وتحويلها الى ملكية عامة للدولة يؤذن بتحويل ضمنى لعبادة الأفراد من الله جل جلاله الى الدولة التى لها الملك كله الآن والتى هى صاحبة العمل وصاحبة العطاء فى هذا النظام فى الوقت نفسه .

والحزب السياسى الواحد يضفى على نفسه الآن من قداسة الدولة ، واعضاؤه عندئذ اشبه بالكهان فى نظام السلطة الدينية على عهد الوثنية المادية الملكية التى استطاعت ان تحمل الملكيين على عبادة ما لا يزيد على عبادة الأصنام ، وكذلك فان عدم التصريح بانكار الله وانكار دينه الآن ليس الا مرحلة فى تطبيق الماركسية . فاعتراف اليسار العربى بالماركسية أو بالمادية التاريخية هو ترويج منه على الأقل للاتجاه المادى القائم على انكار الله واليوم الآخر . وعلى التزام تحريم ما حرم الله ورسوله فى السلوك والمعاملات . وهم بذلك يساوون خصائص اصحاب الشمال فى القرآن .

وكذلك فقد فسر اليسار التقدمية بانها التمسك بالقيم المادية وهجر القيم الروحية والانسانية والفكرية او عدم الاعتداد بها . وانه لا يكون تقدما حقا الا اذا عادت الانسانية الى معنى المادية والحيوانية اذ ان افراد الحيوان هم وحدهم الذين لا يربطهم الا الرباط المادى .

* * *



لم تقف حركة اليقظة الاسلامية موقف الجمود ازاء هذا التيار الخطير بالرغم من تكبيلها وتضييق السبيل عليها فى مختلف مجالات الصحافة والاعلام والكتابة والكلمة المسموعة ، فقد عملت على كشف زيف هـذه المحاولة الخطيرة وواجهت الفكر الماركسى مواجهة صريحة قوية وابانت ابعاد المؤامرة وحلفاءها ، ولم تقف بذلك مع الفكر الليبرالى بل اعلنت طابع الاسـلام الجامع الذى يرى أن كلتـا التجربتين الليبراليـة والماركسية قد كشفتا عن فسادهما وعجزهما عن التقبل فى افق الفكر الاسلامى ، لقد كشفت حركة اليقظة عن تلك العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية ، وكان الملك فيصل بن عبد العزيز من أوائل المفكرين المسلمين الذين كشفوا هذه الحقيقة ، كما ابان عن أن الشيوعية ما هى الا افكار صهيونية كانت موجودة من قبل كارل ماركس بوقت طويل ، وان كل ما فعله ماركس هو انه جمع هـذه الأفكار وجعل لها ثلاث قواعد فى وقت انهيار الحضارة الأدبية ، وزعم أنه يعيد بناءها ولكن بأسلوب روائى ، فهو امعان فى التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (اولا) محاربة الأديان وتفريغ الانسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشـعارات النظرية الشيوعية وهى فى تركيبها اشتراكية متمرحلة . (ثانيا) الانسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضوا فى التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعـة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتصب فى ملتقى واحد . (ثالثا) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، والغـاء الأمر الالهى ، فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات ، وقال وان منكم الا وله مقام معلوم ، والتفضيل له عناصر هى العـلم والعمل والتقوى والعدل والاحسان وما ينفع الناس ، فمن أراد أن يقاوم الشيوعية فعليه بغرس العقائد والتمسك بالدين والاصلاح ، ان مجابهة الشيوعية بغير هاتين الوسيلتين انما هى تمهيد لانتشارها واستشرائها وغزوها النظرى والجدلى والتطبيقى .

واشار الملك فيصل فيما رواه عنه الأستاذ حامد مطاوع رئيس تحرير الندوة : ان اسلوب مقاومة الشيوعية من المعسكر الليبرالى تكشف عن ابعاد خطيرة ، لقد دخلت أمريكا فيتنام من أجل مكافحة الشيوعية ، ولكنه كفاح

بأسلوب يهودى فهو فى شكله مكافحة ، وفى حقيقة موضوعه ومحتواه تمهيد لانتشار الشيوعية ، وهذا مخطط يهودى واشار الى كتاب ويليام ليدرار الكاتب الأمريكى الذى صــــدر عام ١٩٦١ وقد نصـــح المؤلف قومه بأن هذه المبالغ الخرافية التى تصرف على الحرب يمكن ان تصرف على تنفيذ برامج اصـــلاح تخـــدم الانســــان وتتم فى القطاعات المختلفـــة وتخلص المنطقة من الشيوعية ، وقال ان السياسة الأمريكية مبنية على حسابات متشعبة ليس من بينها المصلحة الأمريكية الصحيحة وانما المصلحة العليا للصهيونية واليهـــود .

ومنذ وقت طويل وقبل اربعين سنة كانت صحف الاخوان المسلمين قد كشفت هذه الحقائق ، وقد قاد المرحوم الدكتور محمود صالح حملة ضخمة عن الشيوعية والصهيونية . فنشر فى مجلة الاخوان (١٩٣٨/٣/٤) مقالا ضافيا تحت عنوان :

* * *

(الشيوعية دسيسة صهيونية لخراب العالم)

نقلها عن مجلة فرنسا القديمة قال فيه ان مديرى دفة الأمة اليهودية هم الذين اثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية المليارات وتقسيم الممالك ثم محق مالها وقتل النبوغ فى غيرهم ، وفتحت الطريق امام شعب الله المختار للاستيلاء على الكون كله . هؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية الدسائس ومهدوا لهـــا ببذل المال واثاروها انتقاما من الشعب الروسى ، ان البلشفيك وجهوا وكلاءهم وبثوا عيونهم بدورهم على سائر الوزارات الأوربية والأمريكية ، وكانت خطتهم تتركز فى قولهم : « يجب علينا أن نحمل غير اليهود على اتباع الخطة التى اوشكت ان تنال الظفر بواسطة التأثير على الرأى العام الذى استملناه الينا بسلطتنا السرية الواسعة على الصحافة ، وجملة القول أن الشيوعية هى فى صميمها حركة صهيونية يهودية واسعة .

وكتب فؤاد كرم الكاتب اللبنــــانى عن علاقة ماركس بالصهيونية ، وعن الدور الذى قامت به الصهيونية فى دعم لينين حتى نجح فى اغتصاب السلطة مقابل تعهده بالعمل على انشاء دولة اسرائيل فى فلسطين ، وكيف أوفدت موسكو شيوعيين من اليهود الى فلسطين حيث انشأوا أول حزب شيوعى فى المنطقة العربية ثم طاف عدد آخر من الشيوعيين اليهود ببعض

العواصم العربية وشكلوا فيها احزابا شيوعية فى محاولة لبلشفة العالم العربى والاسلامى . وقال فؤاد كرم : ان الاتحاد السوفيتى الذى اوجد (اسرائيل) لا يعقل أن يتخلى عنهـا ، فالغالبية الساحقة من المهاجرين اليهود الى فلسطين قدموا من الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية وتم تدريبهم باشراف ضباط سوفييت ، وقتلوا العرب بأسلحة شيوعية قدمتها اليهم تشيكوسلوفاكيا ودول شيوعية أخرى ، وما زالت الهجرة اليهودية السوفياتية مستمرة حتى اليوم فى محاولة لدعم قوة اسرائيل البشرية . ولن تعجب اذا علمنا ان معظم المهاجرين من العلماء والمفكرين والمحاربين — اى أن اسرائيل تستخدمهم لرفع قدرتها العسكرية .

وقال ان موسكو لا توافق أبدا على التعرض لكيان دولة اسرائيل بعد أن استدرجت العرب الى هزيمة ١٩٦٧ لكى ترغمهم على الاعتراف بحدود دولية لاسرائيل .

واشار الى أن الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى صدر عن الأمم المتحدة قد تنكرت له الأنظمة الشيوعية ولم تطبق أيا من مواده حتى الآن فى جميع المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية . وبالنسبة الى الحريات على اختلافها فالانسان هناك عبد رق لا ينطق الا بما تحشوه به اجهزة الحزب الشيوعى الحاكم من ترهات وأوهام .

وكشف فؤاد كرم عن أن الازدهار الذى حلم به ماركس ولينين لا يزال حلما يداعب مخيلات الشيوعية وأن العقيدة الشيوعية اخفقت بعد ٥٤ سنة من التطبيق فى توفير الحد الأدنى من الضروريات حتى عجزت عن تأمين لقمة العيش لهم بعد ما أصيب الاتحاد السوفيتى بقحط خطير اكرهه على استجداء القمح (الامبريالى) من أمريكا واستراليا وكندا ودول راسمالية أخرى قامت الشيوعية لهدم انظمتها واضطرت السلطات السوفيتية لأن تبيع كميات كبيرة من الماس والبلاتين والذهب والفضة المخزون لديها بلغت قيمتها فى عام ١٩٧٢ حوالى ٨٥٠ مليون دولار لكى تسدد بها ثمن القمح الأمريكى . واشار الى أن معـدل انتاج الحنطـة فى الصين الشيوعية يتضاءل اليوم عما كان عليه قبل سبع عشرة سنة نتيجة لعقم الأساليب الشيوعية مما أدى الى استيراد كميات كبيرة من القمح من الولايات المتحدة وكندا ، وهكذا نجد أن القمح الامبريالى هو الذى انقذ الأنظمة الشيوعية من الدمار وما زال العـامل الشيوعى يتقاضى ادنى اجر فى العـالم ، ويعيش على الكفاف ، ويأوى الى اكواخ أو يتقاسم غرفة واحدة مع اكثر من عائلة .

وكتب نقولا حداد فى الرسالة ١٩٤٨ مجموعة من المقالات كشف فيها كثيرا عما أسماه (اليهودية الصهيونية الشيوعية) ، قال فيها : ان على العرب أن يعلموا ان الصهيونية اخت الشيوعية بل امها ، لأن اليهود الذين قلبوا الحكم القيصرى كانوا كلهم يهودا ما عدا لينين ، ولما انشأوا دولة البلشفية جحـــدوا الدين وطردوا الاكليروس النصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا يدينون بدين كارل ماركس . وبقى اليهود يتحينون تلك الفرصة لكى يملكوا روســـيا ولو بصفة كونهـــا اشتراكية ، ولكن ستالين فطن لمؤامرأتهم التى كانوا يدبرونها لكى يقلبوا سلطته فأباد كثيرا منهم ومن يعرفهم ، فلعل جروميكو فستنكى منهم ، وقال ان اليهود يتلونون كل لون ، يكون اليهودى راسماليا تارة واشتراكيا تارة واستقراطيا وديمقراطيا ونصرانيا ومسلما . وسيرى ستالين او خلف ستالين ان الشيوعية صارت فى قبضة الصهيونية .

* * *

كذلك فقد كشف الباحثون عن مخططات خطـــيرة للدعاية الشيوعية فى دول العالم الاسلامى تقوم على استراتيجية دقيقة فى الدعاية وتتطور وتتبدل بين آن وآن لتتلاءم مع ظروف المجتمعات ، ولكنها تقوم فى أصولها ومضامينها على نفس المقومات التى رسمها ماركس ولينين وتأخذ طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب والمنشور والكلمة المسموعة وتدور المضامين كلها حول الفردوس المزعوم او الشيوعية .

يقول الدكتور ابراهيم دسوقى اباظة : ان السنوات العشر ٦٥/١٩٧٥ قد سجلت توسعا هائلا فى الوسائل وتجددا متزايدا فى المضامين حتى أغرقت اسواق العالم بنظرياتهم ، ويلجأ الشيوعيون فى ذلك الى شراء ذمم اصحاب الصحف وكتابها أو خداع القائمين عليهـــا باستغلال ظروفهم الخاصة . وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن حوالى ستين فى المائة من انتاج الكتب و ٥٥ فى المائة من انتاج المجـــلات وخاصة المجلات ذات الصبغة العلمية و ٤٤ فى المائة من انتاج الصحف .

ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الاعلام واجهزته تبدو فى الحصار الذى ضرب على كل فكر ورأى لا يتفق مع الخط الماركسى والترحيب بكل رأى يحمل طابع الهدم ، ولو لم يكن ماركسيا لأنه يتفق والخط الماركسى العام الذى يستهدف أولا تحطيم ما هو قائم ، وكل رأى يستخدم قوالب التحليل الماركسى تفسح له المجال حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسيا لأن فيه دعاية وتقديرا لأدوات التحليل الماركسى ، أما الأفكار التى تحاول تفنيد النظرية الماركسية او التى تطرح قيما جـــديدة او تعلى من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن ان تجد سوى المحاربة والتضييق .

وأبرز مضامين الاعلام الشيوعى فى البلاد الاسلامية :

أولا : الحيـــاد المصطنع بالنسبة للدين ، وقد حدث تحول ظاهرى خادع فبعد أن كانت الأديان فى الدعوة الماركسية افيون الشعوب اصبح يقال الآن انه لا تعارض بين الشيوعية والاسلام بدعوى أن كليهما يسعى الى هدف واحد ، أو الادعاء بأن الاسلام ثورى .

ثانيا : محاولة تحييد الدين الاسلامى بابعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسى وخاصة بعد ان انتكس هذا الغزو مؤخرا فى العديد من الأقطار الاسلامية .

ثالثا : اتجاه الاعلام الشيوعى الى هدم القيم الاسلامية ، حيث تلمح كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته .

رابعا : التشهير بالتعاليم الاسلامية وافراغها من مدلولاتها الحقيقية .

خامسا : التبسط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها فى قوالب ماركسية توحى للملاحظ العادى بسلامتها وصدقها .

سادسا : تقديم السموم الاشتراكية فى اشكال براقة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول فى قوالب جاهزة تفرض على العقل المادى سلطانها .

وقد ركب الشيوعيون كل تيار يؤدى الى خدمة اغراضهم ، حتى ولو كان مصادما لجوهرها ، فركبوا تيار القومية واداروه لحسابهم وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم ، وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية .

سابعا : المحاولات التى بذلها رواد الاعلام الشيوعى بقصد الحيلولة دون تعرف انسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل الى حقيقة التجارب الشيوعية فى بعض هذه الدول .

وتستهدف كل هذه المخططات تذويب الفكر الاسلامى فى بوتقة الشيوعية اليهودية مما يستدعى اليقظة والتصدى لها والكشف عن زيفها .

وهناك محاولة خادعة ترمى الى الحديث عما يسمونه نقط الالتقاء بين الاسلام والماركسية بدعوى أنهما محاولتان لتحقيق مثل اعلى اجتماعى وفى هذا ما فيه من التضليل والفساد من اكثر من طريق ، ذلك أنه لا سبيل الى عقد المقارنة بين الشيوعية والاسلام اساسا . ولا يمكن أن توصف الشيوعية بأنها تستهدف تحقيق مثل اعلى تقترب فيه من الاسلام فالخلفية الشيوعية (الماركسية اللينينية) معروفة سلفا وقد تكشفت خطوطها الأساسية من اتصالها بعوامل الهدم وبامبراطورية الربا وبتدمير المجتمعات والسيطرة عليها .

والمعروف ان هناك محاولات متعددة للخداع والتمويه تحاول استقطاب المسلمين والعرب تحت أسماء براقة وكلمات لامعة وخادعة كالتقدمية والتنمية والعصرية وغيرها ، والادعاء بأن الشيوعية هى الفردوس الأرضى وقد تبين فساد التجربة كما تبين تبعية العاملين فى هذا المجال تبعية لا وجه فيها للوطنيه أو الايمان بالقيم الأساسية لهذه الأمة .

وقد احصى الدكتور ابراهيم دسوقى أباظة : منشورات الشيوعيين فى العالم كله واشار الى أنها تحمل المركز الأول فى انتاج الكتاب .

(٧ر٣ مليون كتاب يوميا اى ما يوازى ربع انتاج العالم)

ـــ بما يساوى ٢٥٠٠ نسخة فى الدقيقة وان مؤلفات لينين تحتل المكان الأول . بلغ مجموع نسخها ٣٣٠ مليون نسخة صدرت بحوالى ٩٨ لغـــة من لغات شعوب السوفييت الى عشرات الملايين من الترجمات باللغـــات الحيـــة .

وهناك بناء على هذا اقرار جامع بأن الاعلام الشيوعى أصبح قوة مؤثرة فى صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية فى العالم ، وأن لهذا الانتاج (بالاضافة الى الأفلام السينمائية والاذاعيات) فعالية واسعة فى صياغة العقول والسيطرة عليها فى مواجهة فراغ واسع فى أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى من كل مناعة فكرية مجردة من كل سلاح عقائدى .

وقد حاول دعاة الماركسية تقديم هذه النظرية على أنها مرادف للتقدم ومقابل للتجـــديد وأن ما عـــداها من آراء ونظريات هى محاولة للرجوع الى الماضى ، مع أن النظرية قد تمزقت وسادها الفساد والتحلل .

ومن أضاليلهم القول بحتمية الحل الاشتراكى وسد المنافذ على كل حل آخر يستهدف الخروج من التخلف مـــع أن هنـــاك حلولا كثيرة للخروج من التخلف ، وهم يستهدفون من هـــذه الصيحات المتلاحقة تجميد الفـــكر عند الماركسية وحجبه عن ابعاد الرؤية للممكنات البديلة ، وهم يذهبون فى هذا وراء فرضيات ثبت فسادها كالجدلية والاتجاه الواحـــد للتـــاريخ والحتمية التاريخية .

وابلغ حملاتهم موجهة الى الاسلام باعتباره الصخرة الكبرى التى ترتد عنها رؤوسهم دون أن تنال شيئا ، وهم يلتفون حول الدين بالقول بعدم التعـــارض بين الدين والماركسية او ان الرســـول كان اعظم الثـــوريين الاجتماعيين ، وكل هذه محاولات مبطلة وسيظل الاسلام قادرا على تزييف هذه المطروحات الفاسدة .

وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة مجموعة من الدراسات تحاول أن تصور الدور الذى قام به الشيوعيون فى مصر والبلاد العربية تصويرا زائفا خادعا على نحو ما كتب (رفعت السعيد ، طارق البشرى ، احمد صادق سعد ، شهدى عطية) وغيرهم .

ولعل خير ما يقال ردا على هذه الادعاءات كلها ما أعلنه القائد الشيوعى (لينين) فى المؤتمر الثالث للدولية الشيوعية فى موسكو وهو قوله :

« ان الحزب الشيوعى المصرى مؤلف اساسا من الأجانب وانه منفصل عن الطبقة العاملة المصرية وأن الأجانب الموجودين فى الحزب لا يزيدون عن انهم عملاء الاستعمار ويسعون الى تضليل العمال المصريين » .

(لمعى المطيعى : الأخبار ١٩٧٦/١٠/٤) .

والمعروف ان سكرتير الحزب اليهودى روزنتال كان رعية بريطانية كذلك فقد تكشف كذب الادعاء بأن الاتحاد السوفيتى عرض على مصر ابان ثورة ١٩١٩ أن يمد سعد زغلول بالسلاح ، وما يقال أن سعد زغلول رفض ذلك ، للايحاء بأن عروض الاتحاد السوفيتى بالسلاح قديمة . والثابت حتى الآن ان سعد زغلول لم يرفض لسبب بسيط هو انه لم يتلق أى عرض من السوفييت بمده بالسلاح أو بغير السلاح وليس هناك من سند تاريخى لهذا القول .

ويؤكد لمعى المطيعى : ما اجمعت عليه مصادر كثيرة صادقة من ان النشأة الحديثة للحركة الشيوعية فى مصر جاءت على ايدى عدد من الأجانب واليهود : هنرى كوريل ، اوول كورنيل ، ماهليل شوارتز ، بول جلاكو دى كومب .

ووقائع الاحداث تكشف ان الشيوعيين كانوا دوما فى صف القوى المعادية لمصر والعرب ، وموقفهم من تأييدهم لقرار تقسيم فلسطين فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) واعترافهم باسرائيل فور اعتراف أمريكا بها يؤكد هذه الحقيقة .

كذلك رفض الشيوعيون الانضمام الى الكفاح الوطنى المسلح ضد الاحتلال الانجليزى فى منطقة القناة سنة ١٩٥١ ووقفوا موقف العداء أمام الحركات الوطنية والاسلامية كالحزب الوطنى ومصر الفتاة والاخوان المسلمين .

وقد كان الخداع دائما والتمويه قائما على الانقسام تحت أسماء متعددة خادعة : الماركسيون ، اليساريون ، الشيوعيون ، او تحت منظمات سرية : موالية للسوفييت او الصين او التروتسكية .

وقد استطاع الشيوعيون بالتعاون مع مراكز القوى ان يقودوا التنظيم الاشتراكى ١٩٦٠ — ١٩٦٦ وان يعطوه صيغة الحزب الشيوعى الروسى . وكان اخطر أعمالهم فى منظمات الشباب حيث كان الموجهون السياسيون جميعا من الشيوعيين وكانوا يلقنون بالقوة والاكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال معانى كارل ماركس وآراء الفوضوى الاشتراكى برودين والفرق بين مثالية هيجل وواقعية ماركس وانجلز .

وقد نفر الحس الشعبى من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيين فرضوها كمسلمات فرضا قهريا لا رحمة فيه ، ولما رفض الطلاب قبولها ادخلوا اليهم المذهب المادى الحسى ليكون منطلقا الى الماركسية .

وكانت هناك دورات تدريبية فكرية فى معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعيين فى البلاد النامية (آسيا وافريقيا) .

وكتب لطفى الخولى ان الشيوعية المصرية كانت حامية للحرية .

* * *

ويصور الدكتور عبد القادر حاتم تجربته العملية مع الشيوعيين فى مصر خلال هذه الفترة بوصفه مسئولا عن الاعلام فيقول : بلغ المد الماركسى عام ١٩٦٦ الحد الأقصى ، وكان على صبرى رجل موسكو القوى امينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، وكان الشيوعيون قد عمدوا فى أعقاب زيارة خروشوف للقـــاهرة الى حـــل تنظيماتهم الحزبيـــة وتسللوا الى الاتحاد الاشتراكى حتى تسللوا الى اجهزة الاعلام وتبوأوا مناصب حاكمة فيها كما تسللوا الى الصحف المصرية ووضعهم على رأس مجالس ادارتهـــا . وان القوة التى كانت تقف وراء التغيير فى أوائل الستينات وحتى نهايتها ، لم تدع مجالا للاختيار فاما هى وشعاراتها وجماعاتها واما الهزيمة وحتى بعد الهزيمة ١٩٦٧ ظل الأمر مرتبطا بالاتحاد السوفيتى يستفيد من هذا الشعور فيدفع بالعناصر المؤتمرة بأمره الى مزيد من السيطرة على اجهزة الدولة فى انتظار اليوم الذى تستطيع فيه هذه العناصر أن تقفز الى السلطة ■

ويقول : المفروض ان الاعلام يقـــدم للمواطن المعـــلومات الصحيحة التى تساعده على المعرفة من جهة ومن جهة اخرى على تثبيت جذور تقاليده وحضارته وايمانه ، والعقيـــدة التى يعتنقهـــا وقد تعرض الاعلام العربى الذى كان هذا الهدف أساس جهده لهجوم شديد جدا من مصادر متعددة . الا أن أعنف هجوم تعرض الاعـــلام العـــربى له هو الهجوم الذى شنه الملحدون والشيوعيون ، فقد بدأ هؤلاء حملات رهيبة على قطاع الاعلام بالذات سعيا وراء السيطرة على اجهزة كفيلة باقناع العقول العربية وبغرض نشر العقيدة الخاصة بهم . وحدثت فى حقبة محددة محاولة لتقسيم العالم العربى الى غربى وشرقى وألى رجعى وتقدمى الى آخر التصنيفات التى برع الشيوعيون فيها .

اما العقبة الصلبة التى كانت تعترض طريقهم الى هدفهم فكانت تتمثل فى ايمان الناس بأديانهم السماوية ، ولما كان مبدأهم الأساسى هو محاربة الاديان والعمل على محو كل أثر لها من اجهزة الاعلام . وان مراكز القوى اقامت وجودها فى الاتصال بالمعسكر الشرقى ــ بشكل مريب وكانوا حريصين على منع الاذاعات الدينية العربية .

ويقول : فى الفترة من ١٩٦١/١٩٦٢ كان المـد الالحادى لشيوعى قد بدا يعمق جذوره فى مصر ، ووجدت انه لابد من اقامة محطة تتخصص فى بث القرآن الكريم . وكانت ثورتهم على كلام الله بلغت حدا لا يوصف ثم عملوا على اضعاف اذاعة القرآن بأن استبدلوا بموجتها القوية موجة ضعيفة ، والتقليل من برامج الدين فى الاذاعة العامة باعتبار ان الاديان وبث القيم الروحية فى الشباب قوة أساسية فى مقاومة الالحاد ، ثم حاولوا اقفال مجـلات عديدة متخصصة بالابحاث والدراسات الدينية ثم حصلوا على تصريح من مراكز القوى باذاعة الأفلام الشيوعية التى تحض على الصراع الطبقى . واقاموا تنظيمات كثـيرة فى الاذاعة والتليفزيون وفى الصـحافة وفى الميادين الفنية الأخرى تعتمد على المخططات المنسقة والتنظيم الدقيق .

والمعروف ان لينين قال عن الدعاية الماركسية انهـا يجب تبنى اولا على ايجاد نوع من الدعاة وثانيا على التنظيم وثالثا على المشاغبين الذين يحركون الجماهير ويدفعون بهم الى التظاهر او اية أعمال اجرامية تخريبية . وأساس هذه الدعاية أستغلال معاناة الجماهير بمختلف الوسائل واعداد اطارات معينة تستثمر متاعب الشعب خلال كفاحه لبناء نفسه ثم تعتمد بعد أن تتمكن من قدراتها الى قيادة عمليات التخريب وطريقتهم فى العمل (فى ميادين الصحافة أو الفن أو غـيره) تبدأ تنظيميـة وتنتهى احتكارية أما التسلل الشيوعى الى وسائل الاعلام فقد بدا على اثر الخلاف الذى نشب بين مصر والاتحاد السوفيتى حيث دخل عـدد كبير من القيـادات الشيوعية السجون فى مصر وسوريا بسبب تآمرهم على الوحدة من جهـة والتزامهم بمواقف غير وطنية وفى أوائل الستينات جاء خروشوف الى القاهرة فى زيارة رسميـة ، وكان من رأيه أن يخـرج الشيوعيون من السـجون وأن يلتزموا باتجاه الدولة الرسمى ، وخرجت القيادات الشيوعية وكان كل همهم العمل فى كل أجهزة الاعلام والثقافة ، فتغلغلوا فيها بدعم قوى من مراكز القوى حتى استطاعوا السيطرة التـامة على هـذه الأجهزة : المسرح — الاذاعة — التليفزيون — الكتاب — الصحافة — الفنون التشكيلية — الفنون الجميلة كالباليه والرقص الشعبى ، وكان الفشـل حليفهم دائما لان الشعب كان يرفض طبيعة ممارستهم ولا سيما بعد أن الفوا كتبا دنيئة كالكتب الجنسية والكتب اللادينية . وقد تكبدت الدولة نتيجة ذلك خسائر جسيمة فكانت الكتب تؤلف وتطبع لتودع فى المخازن . وكانت المسرحيـات تعرض وتحاط بدعاية كبيرة فلا يحضرها سوى عناصرهم ومع ذلك يجعلون منها مظاهرة ادبية وفنية ضخمة . وقد عرف الناس بعد مايو ١٩٧١ التنظيمات التى كانت وراء ذلك ، كما عرفوا أن هذه التنظيمات التى أرادت لهم السيطرة على اجهزة العلم تنفيذا لمخططات معينة . وقـد جاء تعيين الشيوعيين

فى مجالس ادارة الصحف بدعوى ان هؤلاء اشتراكيون وأن لا اشتراكية للاشتراكيين . ومن جهة اخرى لا يجاهر الماركسيون بالقول : نحن نريد نشر الفكر الشيوعى والالحادى . وانما ينشرونه وفق مخطط مرسوم ، وكان يعملون على اساس ان الاشتراكيين وحدهم هم القادرون على شرح المبادىء الاشتراكية ، وهم الذين ينفذون التعاليم الاشتراكية ، ولم ينجحوا فى هذا المجال لأن لأغلبهم أسلوبا ماركسيا معقدا يتعذر على الشعب فهمه ، بل كان الشعب يتندر بأسلوبهم الغريب فى كتاباتهم ، وكانت السياسة المتبعة تفرض اعطاءهم القلم والميكروفون وجهاز التصوير ، وكانوا يضعون السم فى الدسم ، وبعد ذلك يعبرون عن الصورة ثم يشرحونها وفى النهاية يهدمون ويخربون ، وكانوا يركزون على الصراع الطبقى والحقد على الدين باعتباره من الغيبيات وافيون الشعوب ، ولكى يأخـذ هـذا الصراع الطبقى مداه لابد أن يكون فى البلاد فئتان : فئة الوطنيين الاشتراكيين وفئة الاقطاعيين والاستغلاليين ، لقد رفع الاستعمار شعار فرق تسد ، ورفعت الشيوعية شعار الصراع الطبقى اى الصدام الدامى بين ابناء الوطن الواحد او شعوب الأمة العربية .

يقول الدكتور حاتم : بعد عودتى للاعلام ١٩٧١ اكتشفت أن عددا كبيرا من الماركسيين العاملين فى الاذاعة والتليفزيون والصحافة موجودون خارج البلاد فى احدى الدول الشيوعية ، ولما سادوا اخضعوا لتحقيق تبين من نتيجته ان المعاهد الاشتراكية التى اقامتها مراكز القوى هى التى أوفدتهم الى المحـاضرات وان الدراسة التى كـانوا يتلقونها كانت تتناول العقيدة الماركسية وتعاليم لينين واسلوب مقاومة الرجعية ووسائل المقاومة ، وكانوا يعدون اعدادا ماركسيا لصراع طبقى داخل الدولة وبعضهم كان يندفع الى هذه الدراسات بتأثير رؤسائهم وارضاء لهم ، وربما عن غير اقتناع . أما الآخرون فكانوا فعلا فى تنظيمات ماركسية .

وقال : ان مراكز القوى كانت تأتى بالشباب وتنشىء لهم المعـاهد المسماة (معاهد اشتراكية) ثم يبدأ الكلام عن العقيدة الماركسية ، حتى (الميثاق) فسر تفسيرا ماركسيا وكان التركيز الاساسى على أنه ليس فى العالم سوى اشتراكية علمية واحدة هى التى تحدث ماركس عنها وعلينا ان نسير على هداها . وبعد هزيمة ١٩٦٧ اصبح الماركسيون فى حـالة ضياع حقيقى فانطلقوا الشعار القائل (نريد معرفة النغمة الصحيحة) قلت لهم ١٩٧١ ان النغمة الصحيحة هى مصر والعرب والاستعداد للمعركة واسترداد حقنا وبث الروح الوطنية الحقيقية فى نفوس الشباب من واقع ارضه وترابه وفى سبيل بلده .

وكانت اللغة العربية احد اهداف المخطط الماركسى فقد بذل الماركسيون جهدا كبيرا لالغاء العربية واحلال العامية محلها على اساس انها لغة التعبير الواقعى ، حتى الشعر العامودى تعرض للهجوم لمصلحة الشعر المنثور غير المفهوم ، هذا الشعر غير الواضح وغير المفهوم الذى لا غرض له غير افساد اذواق الناس . وكانت الماركسية تسعى الى ضرب اللغة العربية لان اللغة هى عماد الوحدة والنظرية الماركسية تعادى الوحدة .

وقال : ان التنظيمات السرية فى التليفزيون والاذاعة اشترت افلام ١٨٠ كاتبا من كتاب البرامج فى التليفزيون ، وكانوا كل اسبوعين يعرضون فيلمين عن ماركس ولينين وحرب الصراع الطبقى .

* * *

الباب الثانى

فساد النظرية الماركسية

الفصل الأول : فساد النظرية الماركسية

الفصل الثانى : الماركسية والمجتمع

الفصل الثالث : الماركسية والدين

الفصل الرابع : الماركسية والعلم

الفصل الخامس : الماركسية والصهيونية

الفصل الأول

فساد النظرية الماركسية

أطلق ماركس على نظريته اسم (الاشتراكية العلمية) لأنه اعتمد فى بناء النظرية على مجموعة المفاهيم العلمية التى كانت مطروحة فى أفق الفكر الغربى فى هذه المرحلة التى انشأ فيها مذهبه وقد عاش ماركس بين (١٨١٨ — ١٨٨٣) وهى الفترة التى ازدهرت فيها الفلسفة المادية فى اوربا واقامت اسسها على فرضيات العلم التجريبى التى كانت لا تزال لم ترق الى مستوى الحقائق العلمية التى لم يلبث التقدم العلمى أن جرفها وحطمها .

وكانت تجارب العلماء فى هذه الفترة تتسم بالكراهية الشديدة للكنيسة ورجال الدين على أثر الصراع الشديد الذى وقع بين الفريقين ، وبروز بعض قوانين العلم التجريبى التى حاولت الفلسفة ان تتخذ منها أساسا لبناء قوانين للتاريخ والاجتماع وللدراسات الانسانية بحسبان أن الكيان الانسانى كيان مادى خالص وان قوانين المادة صالحة للتطبيق عليه . وكان هذا أول أعمدة الأساس فى النظرية المادية التى انهارت بعد قليل حيث تبين للعلماء بوضوح أن الكيان الانسانى هو كيان مستقل بذاته وان قوانين التجارب المادية لا تصلح للتطبيق عليه . كذلك فان الفرضيات التى قدمها دارون كلها بشأن العلاقة بين الانسان والقرد لم تلبث بعد ذلك ان انهارت وثبت فسادها .

كذلك فان من اكبر الأخطار الاساسية فى نظرية ماركس انه اقامها فى ضوء « حالة عرضية » لم تلبث أن تغيرت هى فقر العمال فى ظل بدايات التصنيع التى شهدها ماركس والتى لم تلبث أن تجاوزت كل ما وصل اليه خيال ماركس على نحو اعطى مزيدا من التأمينات والامتيازات والدرجات بحيث خالف ذلك ما كان يتطلع ماركس اليه من انقضاض العمال على أصحاب الأعمال . كل هذا وغيره من اسس وقواعد لم تلبث ان انهارت كان له ابعد الاثر فى اهتزاز النظرية الماركسية وعجزها عن تحقيق نبوءاتها ومن

هنا فقد ثبت ثبوتا حاسما ان الماركسية فلسفة مرحلية وردود فعل للراسمالية وكانت أكبر الضربات التى وجهت اليها هى (يقين) ماركس بأن تحدث الثورة الشيوعية فى دولة متقدمة صناعيا الى اقصى حد فكان الذى حدث ان وقعت الثورة الشيوعية فى اكثر بلاد اوربا تخلفا (الاتحاد السوفيتى) .

ولقد كان اكبر مقاتل النظرية الماركسية هو اساسها المادى المحض الذى لم تتحقق له النظرة العميقة ذات الأبعاد الواسعة الى عوامل اخرى معنوية وروحية ونفسية لها اثرها فى تفسير التاريخ وبناء المجتمعات والحضارات .

يقول الفيلسوف هكسلى : كانت الشيوعية الماركسية اكثر تنسيقا وملاءمة ولكن اساسها المادى المحض قد حد من فاعليتها فقد حاولت ان تنكر حقائق القيم الروحية وهذه القيم موجودة قائمة .

لذا كان على الشيوعية ان تتقبل نتائج هذا الخلط الايديولوجى فاقبلت فى غيظ وحنق لفتح أبواب الكنائس للجموع المتعطشة الى القيم الروحية التى انتبذها النظام الشيوعى .

وأن أخطر ما وقع فيه ماركس ونجلز هو القول بأن تاريخ المجتمع الحاضر كله ما هو الا تاريخ النزاع بين الطبقات : فالعبيد والأحرار والدهماء ورجال الطبقة العليا والسيد والتابع والمعلم والصانع وفى الجملة كل هؤلاء وقف الواحد منهم ضد الآخر فى حروب لا هوادة فيها .

ولا ريب أن نظرية الصراع بين الطبقات ليست حقيقة تاريخية بقدر ما هى من أهواء اليهودية التلمودية ، بالاضافة الى معارضة الدين وعدائه والانتقاص منه . وقد دفع هذا بعض الباحثين الى القول بأن الماركسية مؤسسة على نظريات غير واقعية مخالفة لفطرة الانسان وواقع حقائق الأشياء .

يقول (بربارا وارد) فى كتابه (خمسة افكار تغير وجه العالم) عن الشيوعية : تمخض عنها عقل يهودى برجوازى هو كارل ماركس . بعد أن شهد المرحلة الأولى التى اعقبت الانقلاب الصناعى فى انجلترا وما صحبها من تضخم فى ثروات أصحاب الاعمال ، ومن شقاء وحرمان فى حياة العمال فسارع كارل ماركس الى استنتاج حقيقة كبرى اقام عليها مذهبه هى أن الرقى الصناعى يستتبع حتما شقاء العمال وتعاستهم .

ويقول أنه تبين من بعد فساد هذه الحقيقة الكبرى التى هى دعامة المذهب كله .

ويمكن القول بوضوح أن ماركس قد استبطن الأهــداف التلمودية الصهيونية اليهودية التى كانت تسيطر على العالم وحاول أن يصنع منها مذهبا اجتماعيا يرمى الى اثارة العداوة والتناحر بين الطبقات والمجتمعات وخاصة انه قد اعتبر حتمية الحل هو الثورة الدموية القائمة على التآمر والحقد والعداء الذى يمكن للطبقة المتآمرة الاستيلاء على السلطة .

لقد كان كارل ماركس تلميذا اصيلا للمفاهيم التلمودية الحاقدة على البشرية كلها ، الراغبة فى تفريغ هذا الحقد فى منهج يمكن اليهود من اقامة امبراطورية الربا لعالمية ، فجاءت نظرية ماركس استجابة صحيحة لــكل مفاهيم التلمود التى تحتقر الأديان والبشرية وتحاول ان تفرض وجودها بالتآمر والقتل .

ولذلك فقد جعلت منطلقها الصراع بين الطبقات وعلى تحريض العمال على الثورة الدموية على أصحاب رؤوس الأموال .

وعنده أن حرب الطبقات وعداء الطبقات هى القــانون الأول من قوانين التغيير . وان دكتاتورية العمال ستسحق المجتمعات الراسمالية .

وتقوم الصهيونية كما صورها كارل ماركس على الغاء القيم الطبيعية التى اقامتها الفطرة الانسانية : الملكية الخاصة ، الدين ، الاسرة ، والغاء الحريات الفردية ، والقضاء على الكرامة الانسانية ، وسيادة التصفيات الدموية الرهيبة .

ولذلك فان معارضة الفطرة لا تستطيع أن تثبت طــويلا وسرعان ما تجتاحها طبيعة الانسان الاصيلة ، كذلك فان القواعد التى قامت عليها الماركسية من فرضيات العلم ومن ظواهر المجتمعات والحضارات سرعان ما اجتاحها التغيير المتصل فاحتاجت الى الترميم والاضافة والحذف .

كذلك فان قيام النظرية الماركسية على الميكانيكية التى تحدد قوانينها ولا تتجاوزها قد أنكرت وتجاهلت القوى الانسانية الحية الفاعلة . وكما قال رسل فان اكبر خطأ وقع فيه ماركس هو انكار الذكاء الانسانى كعامل من

العوامل التى تسيرنا فى حيـــاتنا وأن الناس تتفاوت فى هذا القدر من الذكاء .

وليس أصــــدق على أن الزمن تجاوز الماركسية لانهـــا قامت على فروض العلم التى تغيرت من بعد ؛ ان أربعين عالما شيوعيا فى الاتحـــاد السوفيتى اجتمعوا فى الستينات فى شكل مجتمع علمى استهدف شرح الأسس الماركسية وقد راجع النتائج التى حققها تفتت الذرة وقرر المجتمع انه يجب الا يعول كثيرا على جدل المادة بعد أن تجاوزه العلم وقد صدر كتاب تحت اسم (**فوند منثل أف ماركزم**) ووصل الى مصر وقد تم جمعه بعد توزيعه وفى الطبعة الجديدة منه رفع الفصل الخاص بعدم التركيز على جدل المادة بعد أن اعتقد الماركسيون القادة ان ذلك من شأنه ان يزعزع العقيدة فى نفوس الاجيال الجديدة ويضربها فى الصمم .

وقد جاء هذا على اثر حادث خطير وقع عام ١٩٥٩ حينما تحدثت وكالات الأنباء العالمية أن رئيس معهد الكيمياء العضوية فى روسيا (أوبارين) رفع تقريرا بعد ما قام سبعة وثلاثين عاما يبحث فى اصل الحياة ومدى امكانية ايجاد الخلية الحيوانية الأولى عن طريق تفاعل كيميائى جاء فيه :

لقد تبين بما لا شك فيه أن الحياة يمكن أن تبدأ من العدم وقد انهارت تماما نظرية التفاعل الكيميائى والتوالد الذاتى التى تقول أن الانسان لم يكن انسانا منذ الأزل وان الحيوانات والنباتات انما نشأت من اصل واحد .

وهذا يعنى تماما أن القواعد الأساسية التى اعتمدتها الماركسية من نظرية داروين قد سقطت . والواقع اننا عندما نراجع ماركس مراجعة صحيحة نجد أن هناك مسبقات واضحة فى فكر ماركس وهدفا خفيا يحاول ان يعالج الوصول اليه بدقة من خلال انتقاء بعض مواقف من التاريخ . بل ان كثيرا من نقاد ماركس يرون فى صراحة أن ماركس قد كون رأيه مقدما ثم اخذ بعد ذلك يتلمس الاسانيد والمبررات لذلك الراى وان بيان ١٨٤٨ عندما صدر كان أولا بتوجيه من فيلسوف الفكرة الصهيونية التلمودية الأول (موسى هيس) ان لم يكن من وضعه نفسه ـــ كذلك فان ماركس لم يكن قد قام بتلك الدراسات التى نشرها من بعد تحت اسم (رأس المال) والتى صدر الجزء الأول منها ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاما من البيان الماركسى .

وبحيث يتبين بوضوح أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمى بل كان البحث العلمى الذى قام به بهذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التى اعتنقها مقدما .

ولا ريب أن هناك عددا من القضايا التى تحتاج الى تحليل واسع لتكتشف أبعاد فساد النظرية فى مقدمتها :

أولا : فكرة التفسير المادى للتاريخ .

تعد فكرة التفسير المادى للتاريخ من أهم أركان المذهب الشيوعى وتؤكد النظرية الماركسية أن الانتاج الجماعى لوسائل العيش يربط الافراد بعلاقات جديدة ضرورية مستقلة عن ارادتهم ، وان طريقة الانتاج هى التى تحدد النشاط الاجتماعى والسياسى والعقلى لحياة جماهير الناس .

يقول الدكتور صلاح نامق : هنا يكمن النقص الواضح فى النظرية فيفسر الوجود الانسانى كله على أساس احداث مادية فقط تكشف جانبا من الحقيقة وتخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى اخرى غير مادية تؤثر فى حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والاخلاقية ، بل لعل هذه القوى الاخيرة تأتى فى المقام الاول قبل القوى المادية البحتة التى ركزت عليها نقطة التفسير المادى للتاريخ . ان للقيم الدينية والمعنوية والاخلاقية وزنها واهميتها فى المجتمع ، واذا كان من الخطأ الطعن بأن مجتمعا ما يمكن أن ينهض ويقوم ويتقدم على القيم الاخلاقية وحدها فمن الخطأ أيضا الظن بأن مجتمعا يمكن أن ينهض بدونها . هل فى وسعنا أن نقول ان تعاليم الانبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجا للهيئة الاقتصادية وحدها ، واذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم فى تطور المجتمع فكيف نفسر انتشار الحضارة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .

« لم يأت الاسلام نتيجة انقلاب فى نظم الانتاج أو فى علاقات الانتاج فى قريش ، وانما جاء ظاهرة الهية مستقلة عن فعل البيئة ، لقد جاء الاسلام منذ البداية مقررا المساواة فى الفرص وضمان حد الكفاية للفرد وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ، جاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن فيه ظروف الانتاج وعلاقات الانتاج تدعو اليه بحيث يمكن أن نقول أن ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادى وقد تحدى بذلك منطق نظرية التفسير المادى التاريخ التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى نظام الانتاج وعلاقاته » .

وخطأ التفسير المادى للتاريخ انه يرجع الى خطأ نزعة التعميم التى تميل أن يتخذ من ملاحظة خاصة بحالة معينة مبدأ عاما يطبق ويسرى على جميع الحالات .

وقد تبين من الدراسة المتعمقة أن هناك عوامل مختلفة تلعب دورا هاما فى التاريخ فى مقدمتها المعتقدات الدينية وأثرها فى حياة الامم والشهداء الذين ماتوا فى سبيل معتقداتهم والعواطف والشهوات والأهواء التى تسيطر على حياة الرجال وتسيطر على تاريخ الامم ، وغريزة حب السيطرة (قال ادلر ان غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الأول فى التاريخ) .

كذلك فقد أصبح مقررا انه « لا يوجد سبب مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية انما هناك عوامل متعددة تؤثر بعضها فى البعض تأثيرات متقابلة . وان العامل الجوهرى اليوم يمكن أن يكون عاملا ثانويا فى الغد .

ومن هنا فان العامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون الها تصـــدر عنه كل الاشياء بينما يمكن للعامل النفسى والعقائدى أن يكون صالحا على مدى العصور ، وأن يكون العامل القومى والعنصرى مؤثرا فى بعض الأحيان ونحن حين نراجع تطبيقات نظرية التفسير المادى للتاريخ مراجعة واسعة نجد أنها ليست أكثر من تسجيل لفترات الانتكاس فى حياة الشعوب بمـــا يستتبعه الانتكاس من صراعات على كـــل المستويات . وقد كان موقف الماركسية من العامل الاقتصادى بالذات موقفا منحازا لا علميا كما أنه قدم تحليلات لفترات انتقائية من التاريخ فى بيئة من البيئات ولكنه عجز عن تفسير التاريخ كله فى كل البيئات ، وفى الفترات الاخيرة تراجع الماركسيون فى اهمية العامل الاقتصادى وقالوا أنه ليس هو كل شىء وانه أعطى أكثر مما يستحق ولكن هذا الاعتذار لم يؤثر فى المناهج الماركسية التى ما تزال قائمة على اعتبار الاقتصاد مصدرا أساسيا بينما يقرر التاريخ بتطبيقاته فساد أولية هذا العامل ويؤكد انه لم يكن لعامل من العوامل الانسانية من اثر اقوى واعظم من عامل الدين وكل ما عداه من العوامل المؤثرة فى حركات الامم انما تتفاوت فى القوة بمقدار ما بينهما وبين العقيدة الدينية من المشابهة فى التمكن من أصالة الشعور ومواطن السريرة ، وهذه القوة لا تضارعها قوة العصبية ولا قوة الوطنية ولا قوة العرف ولا قوة الاخلاق ولا قوة الشرائع والقوانين .

وتقرر الدراسات ذات الاصالة والبعد عن الهوى اشتراك العوامل الانسانية وتفوقها على العوامل الاقتصادية فى احداث التغيير الاجتماعى . يقول رستو فى كتابه (مراحل النمو الاقتصادى) : يعتبر الانسان وحده أكثر تعقيدا فهو لا يسعى للمصلحة الاقتصادية وحدها بل للسلطة واللهو والمغامرة وان صافى السلوك الانسانى لا يعتبر فى نظرنا سعيا وراء شىء اقصى بل موازنة بين اهداف انسانية بديلة ومتناقضة فى كثير من الاحيان ازاء مجالات الاختبار التى يرى البشر أنها مفتوحة أمامه » أ.هـ ويرى كثير من الباحثين

انه اذا كانت هناك عوامل هامة كثيرة تلعب دورا هاما فى التاريخ فأن فى مقدمتها عاملين هامين هما : المعتقدات الدينية والشهوات وحب السيطرة وليس الاقتصاد .

اما بالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كانت الحروب الدينية قديما أكثر الحروب طولا ، وهناك قصص الشهداء الذين لاقوا المنايا والاهوال وقد احتملوا ذلك فى سبيل معتقداتهم الدينية ، وليس تحت تأثير بواعث مادية واقتصادية .

اما بالنسبة للشهوات وحب السيطرة فأن المؤرخ هـ.ج. ولز : يقرر ان غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الاول فى التاريخ .

ويقرر الباحثون « ان فكرة العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس (الها) تصدر عنه الأشياء وسببا وحيدا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية مما يسمى بالتفسير المادى للتاريخ هذه الفكرة سقطت علميا والرأى السائد الآن فى ميدان الظواهر الاجتماعية انه لا يوجد سبب واحد مستقل وفاعل ، وانما هناك عوامل متعددة تؤثر بعضها فى بعض تأثيرات متقابلة ، فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملا ثانويا فى الغد ، والعامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون الها تصدر منه الأشياء ، (مصطفى محمود) .

ومن فساد التفسير المادى للتاريخ ما ذهب اليه ماركس من ان التطور المادى فى مكان ما هو وحده الذى يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع (وليس الفكر ولا التربية) وآية ذلك ان فكرته كفكرة مجردة ما استطاعت أن تجد لها طريقا الى الوجود فى اى مجتمع غير المجتمعات الماركسية بل لقد اصبح القول باسقاط الفكر والتربية من عملية التطور فى المجتمع فى الواقع المحسوس امر لا يستحق النظر .

ثانيا : فساد التنبؤ :

ويؤكد الباحثون : انه لا يوجد أساس علمى للاعتقاد بامكانية التنبؤ بسير الحدث التاريخى أو بصورة التطور الاجتماعى فى المستقبل لأن سير الحدث التاريخى او طريقة تطور المجتمع تتأثر تأثرا قويا بنمو المعرفة الانسانية أو بحالة العلم فى المستقبل وبذلك فانه لا يمكن التنبؤ بالصورة التى سيكون عليها المجتمع فى المستقبل .

هذه المحاولة الفاسدة هى ما يطلق عليها اسم (الحتمية) : ومفهوم الحتمية يعارض حرية الارادة الانسانية التى يقررها الاسلام ، ولقد تبين ان الحتمية لا تتفق مع ارادة التغيير ، لانه مع الحتمية لا تكون ارادة من جانب الانسان ، ولا يبقى له ازاء تطور التاريخ الا أن يراقب ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على السواء .

وخطأ ماركس أنه يرى أن القانون الذى يحكم التطور الاجتماعى قانون مادى ، ولذلك فان النبوءة التاريخية عنده تقوم على افتراض ان التاريخ يسير فى خط معين معلوم ، وذلك على افتراض أن خط الحياة يسير فى نحو محتوم .

وقد كشفت نبوءات ماركس كلها عن اخطاء لأنها قامت على هذه الأسس المنهارة ، وكان ابرزها خطأ النبوءة بسقوط النظام الراسمالى ، وقد تبين باستقراء التاريخ بأنه على عكس ما فهم ماركس أن انهيار النظام الرأسمالى ليس وشيكا وأن الظروف الاجتماعية لم تتطور الى مستوى التعارض المادى بين الطبقات بل صاحبها زيادة فى عدد الراسماليين فى جميع الدرجات .

ومن نبوءات ماركس التى سقطت قوله أن العالم يسير فى الصناعة والتجارة نحو الاحتكار بحيث يأكل القوى ضعفاء الملاك وأن هذا الاحتكار يستمر ويطرد فى جميع الصناعات وينتهى ذلك الى الغاء الملكية الفردية ، ومن العجيب ان الشيوعية فى روسيا تحاول القبول اليوم بالملكية الفردية فى اشياء كثيرة . ومن نبوءات ماركس الزائفة قوله ان تاريخ البشرية عملية وحداة .

ومن حتميات ماركس التى انهارت مام الواقع والتجربة ، هزيمة قانون راس المال امام الارادة الانسانية ، ولم يقع ما توقع ماركس وعدلت الأمم أنظمتها فحققت لعمالها مالم تحققه الشيوعية فى بلادها .

كذلك فقد حدث النظام الشيوعى فى بيئة غير التى توقعها ماركس ، ولم يستطع الماركسيون تأكيد نظرية القيمة ، وكشف التطبيق عن عجزها وظهر امثال ليبرمان وغيره من الذين نادوا بآراء جديدة لدفع عجلة الاقتصاد القومى .

ولقد كان ماركس ثمرة عصره وما كان يستطيع ان يقرر شيئا بالنسبة للمتغيرات التى تفرضها تطورات المجتمع ولا اختلاف البيئات « لقد هبت رياح التغيير فانهارت امامها النظرية الماركسية ولم تفلح عمليات ترميمها »

ومن مزاعم ماركس ونبوءاته أن الدولة ستنزوى لا محالة ، ولقد شقت النزعة القومية طريقها مخالفة لما رآه ماركس ، ولم تذو الدولة بل تويت وسارت النزعات القومية فى أوربا من وضع الى وضع وقامت دول جديدة موحدة مثل المانيا وايطاليا .

واخطأت نبوءات ماركس فلم تخرج الشيوعيـــة فى انجلترا المتقدمة صناعيا وانما خرجت من الصين الزراعية وروسيا المتخلفة ، ولم ينقسم المعسكر الرأسمالى أو يصبه الانهيـــار أو التناقص وانما انقسم المعسكر الاشتراكى نفسه وتناقص وتصارع . ولم تتفاقم الهوة بين العمل وأصحاب رؤوس الأموال بل ضاقت .

ثالثا : سقوط فكرة الحتمية :

ان ابرز معالم الخطأ فى النظرية المادية جملة والماركسية على الخصوص محاولة تطبيق مفاهيم العلوم المادية على الظواهر الانسانية ، بينما تقوم الظواهر الانسانية على عوامل معقدة ومتشابكة وعوامل غير عادية (نفسية وروحية ومعنوية) وليس من ريب فى ان العنصر الانسانى والارادة الانسانية ذات الأهمية الأولى والكبرى فى تشكيلها بل هى سبب تميزها عن الظواهر الطبيعية ، وهذا ما جعل موضوع الدراسة فى العلوم الاجتماعية شيئا يختلف تماما الاختلاف عن الدراسة فى العلوم الطبيعية والتجريبية .

والواقع أن الباحث فى دراسة الظواهر الاجتماعية لا يستطيع أن يكون محايدا او موضوعيا لانه يعيش تحديات نفسه وظروف مجتمعه وأوضاع عصره وبيئته . وان فكر الباحث (فيلسوفا كان أو عالما) هو من وراء آرائه الشخصية وميوله واهوائه وتطلعاته ومطامعه سواء نحو نفسه أو وطنه أو بيئته او مصلحته الطبقية التى ينتمى اليها ، كل ذلك من شأنه أن يؤثر فى رؤيته للظاهرة الاجتماعية وفى طريق فحصه لها وهو مؤد لا محالةالى عجزه عن وضع ايدلوجية انسانية ثابتة ، وقد اكد الباحثون فى مجال الدراسات الانسانية والعلوم الاجتماعية صعوبة الأخذ بفكرة السبب او موضوعية البحث كما فى العلوم الطبيعية .

ولما كانت الحتمية هى فكرة غـــير علمية فى الدراسات الانسانيـــة والاجتماعية فقد كشفت التجربة التطبيقية والتحول التاريخى عن فسادها وسقوطها ، وتبين أنها دعوى غـــير علمية فى مجال الانسانيات والعـــلوم الاجتماعية وانما هناك على الأكثر عوامل ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة . وانه لا حتمية الا فى حركة الأفلاك والكواكب وكرات البليـــاردو

وتروس الساعات والمادة الصرفة ، وحتى فى مجال المادة الصرفة فقد ظهرت قوانين جديدة تخرج فيها حركة الألكترونيات من اسار الحتمية الى مجال الحرية والاحتمال .

ولما كانت الحتمية التاريخية وحتمية الحـل الاشتراكى من المبادىء التى نادى بها ماركس فان اهم ما يميز الاشتراكية العلمية اى الماركسية عن غيرها من انواع الاشتراكية ، هو ما يقدمه ماركس من الادلة على حتمية قيام الاشتراكية الماركسية سواء كانت أمرا مرغوبا فيـه أو مرغوبا عنه من البشرية ، هذه هى فكرة الحتمية أو التنبؤ التاريخى الذى يقوم على أساس الاعتقاد بأن ثمة قوانين يسير التطور التاريخى وفقا لها ، على ان الأسلوب العلمى لا يقر الأخذ بمبدأ فكرة الحتمية .

« ولقد وجهت يد التاريخ صفعة قوية على وجه تلك الحتمية فكذبتها أحداثه تكذيبا » .

يقول صاحب كتاب (الاسلام ومبادىء نظام الماركسية والديمقراطية الغربيـة) : على ان ماركس وانجلز قد ادركا فيما يبـدو ما كان منهما من المغالاة والشطط فى الأخـذ بفكرة (الحتمية) فتراجعـا عن بعض ما كان لهما من آراء فى هذا الصدد ، ورغم ان فكرة الحتمية لم تقرها البحوث العلمية وقد كذبتها الأحداث التاريخية . وأخذ ماركس وانجلز فى التراجع عن بعض الخطر فى السير فى طريقها . ورغم ذلك نجد بعض زعماء الشيوعية من بعدهما قد رددوها واليوم نجـد أن أشد النـاس مغالاة فى الماركسية وحراسة لها قد تراجعوا عن كثير مما تقتضيه هذه الحتمية فى مجتمعاتهم واخذوا بكثير مما اعتبروه فى نظرهم من مظاهر النظام الراسمالى . » .

وفى مواجهة هذا يقرر الاسلام وجود (الارادة البشرية) .

فالمسلم يؤمن بالارادة البشرية ويعد نفسه لأداء دوره ولا يستسلم للغرائز التى تسيطر عليه فالاســلام يدعوه الى عزم الأمور ، والاسلام لا يتقبل (الجبرية) بمعنى التنازل عن حقه الطبيعى فى الاختيار وهو لا يقر السلبية وعدم المجازفة والجبن وانما يؤمن بالاقتحام والعمل ومواجهة الحياة .

والفرد فى الاسلام باعتباره القوة المحركة هو احد العلامات الفاصلة على طريق التقـدم ومن هنـا نتجت فكرة البطـل الذى يصنع الأحـداث أو يتحكم فيها :

ولقد صنع المسلمون التاريخ ووجهوه الى الوجهة التى ارادها الله تبارك وتعالى . وللفرد فى الاسلام كرامته وحرية فكره وليس للقوى أن يتسلط على الضعيف والملكية الفردية مصانة ، وهى الدرع والسند الذى يستند اليه الفرد ليواجه القوى المضادة ، وتنفيذها هو الشكل الخارجى للكرامة والأمان ولا يقر الاسلام الغاء الملكية الفردية لأنه يحول النساس الى أجراء .

ولقد سبق الاسلام الى تحقيق الأهداف الانسانية فى تأكيد الارادة والتغيير وتحقيق السواسية والعدالة ، والعمل فى اطار المنهج العلمى للايمان وباتجاه الهدف المتكامل فى حرية الفرد وحرية الجماعة ووحدة الأمة .

رابعا : الظروف المتغيرة :

نظرا لأن الماركسية لم تقم على الفطرة والنظرة الجامعة المتكاملة للانسان (روحا ومادة) فقد عجزت عن الحركة ازاء الظروف المتغيرة وتحولات الأحداث فى العصر والبيئات ، ولقد اعتمدت النظرية أساسا على ظروف كانت قائمة فى القرن التاسع عشر ثم تغيرت كثيرا ، ذلك أن ماركس لم يكن يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث تدار المصانع بعقول الكترونية وقيام نقابات العمال وقوانين العمال وقوانين التأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض واتاحة فرص التعليم والعلاج والراحة .

بل ان الانقلاب الذى حدث بعد قرن كامل من بداية عصر ماركس وانجلز كان بعيد المدى ، فقد انطلقت شرارة الانقلاب التكنولوجى المباغت فى منتصف القرن الحالى ، ذلك الانقلاب الذى لا يقاس بالانقلاب الذى احدثته الآلة البخارية حين ظهرت لأول مرة فى نهاية القرن الثامن عشر .

ان ماركس قد عجز عن تصور مثل هذا التحول الذى أحدث تغييرات فى جذور النظرية المادية والمفاهيم التى قام عليها العلم نفسه ، فضلا عن أنه عجز عن تصور قدرة الراسمالية على التطور واحتواء رغبات العمال بالمشاركة والحصص فى الأسهم وفى راس المال .

كذلك كان من اخطاء ماركس البالغة اصراره على ان تكون نظريته التى هى مجموعة من الفرضيات أقامها على البيئة المحدودة والعصر المحدود — ان تكون فكرا شموليا تحيط بكل شىء علما — كأنما كان يطمع أن تكون .

دينا معاكسا لدين الله الحق ، وذلك حين جعـل لها عقيدة مادية ملحدة مرتبطة بمنهج حياة تصل الى مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية ويقوم على معارضة التكامل الانسانى الجامع وهو فى كل معالجاته يعتمد الصراع الدموى ، والانتقاض والتآمر ، وقد تزعم الماركسية انها ذات نزعة انسانية بينما تعمل على خلق طبيعة جـديدة من نوع حقود متجرد من الأخلاق والقيم يعتمد على مجرد العنف وبغير رحمة كما قال لينين ، كذلك فقد كان من أشد عوامل مسارها ، صياغة النظرية فى قوالب نهائية ومطلقة يفترض صلاحيتها لملاءمة كل الظروف فى كل المجتمعات ، وترفع فى شعارات مثيرة وحماسية لاجتــذاب السذج والأغرار والبسطاء الذين لا يملكون مقدرة فكرية كاملة .

وقد اعترف لينين بأنه فرض هذه النظرية على المجتمع السوفيتى فى ظروف غير ملائمة لها ، وان هذا كان خطأ من الناحية العلمية الاقتصادية ولكنه كان صوابا من ناحية الاثارة السياسية ، وقد تمكنت الطبقة الجديدة من السيطرة على امكانيات المجتمع الذى أصبح تحت قيادتها بصرف انظر فى قدرتها القبلية الذاتية لقيادة المجتمع الذى استولت على سلطته السياسة باسم تطويره اقتصاديا واجتماعيا .

ومن النظرة الأولى نجد ان هناك استحالة للفصل بين الماركسية والالحاد ، ولا يمكن ان يكون الماركسى الا ملحدا بما تقضى به النظرية نفسها .

وما اعتقد ان المسلمين فى حاجة الى مثل هذه الفكرة التى لا تستطيع أن تقدم حلولا عملية يستفيد منها المجتمع ، وانما تفرض سيطرتها عن طريق الصراع الدموى الذى لا يمكن لأى قوة من بعد أن تضعهم موضع المساءلة أو الحساب .

خامسا : التراجع والترميم :

ومن شأن هــذه النظرية ـــ لأنهــا بشرية ترتبط بأهواء الصهيونية الطامعة فى السيطرة على المجتمع البشرى ، الحاقدة على المجتمعات البشرية المختلفة ـــ الا تستجيب لتطور المجتمعات ، ومن هنا بدأ التراجع فى النظرية الماركسية منذ وقت طويل ، منذ عهد انجلز (زميل ماركس فى اعداد النظرية) الذى اضطر أن يتراجع فى آخر حياته عن دعامة اساسية من دعامات النظرية وهى العامل الاقتصادى الذى قال ماركس انه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة ، وقد سارع انجلز لانقــاذ الماركسية فقال :

بالرغم من أن العامل الاقتصادى ضرورى فان عناصر متعددة تدخل فى عملية تكوين الأشكال الأخرى .

وقد توالت التنازلات والتراجعات فيما بعد . يقول عبد الحميد صديقى :

ان من حسن حظ البشرية ان اخطاء الماركسية تتجلى الآن اكثر فأكثر بمرور الزمن فقد رفض نظريته المادية للتاريخ حتى اشد الناس احتراما له البروفسور جى دى ايج كول : الذى يرفض أن يعترف بالعامل الاقتصادى على أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة .

ويقول : ان ادعاء ماركس بشأن الفكرة المادية فى التاريخ خاطىء الى درجة أن انجلز شعر بضعفها وقلل من حدة تعبيرها الجازم بقوله :

ان الفكرة المادية عن التاريخ تقول : ان عامل التغيير فى التاريخ هو فى النهاية الانتاج ، وان الأشكال السياسية والقانونية والفلسفية والأفكار الدينية ، كل ذلك يؤثر ايضا على مجرى الكفاح التاريخى وفى كثير من الأحيان يكون له الغلبة فى تعيين شكلها .

ويقول عبد الحميد صديقى : « ان ماركس قام كما فعل هيجل وشبنجلر — لكى يجعل نظريته تبدو مستساغة — بتحريف كثير من الحقائق وتجاهل بعض الحوادث المهمة فى التاريخ التى لم تساند ما ذهب اليه . ولأجل ان يثبت ان نظريته صحيحة استخدم الحوادث التى وقعت فى الأغوار البعيدة من الزمن مما لا يمكن التحدث عنه بشىء أكيد » .

وتكاد الآراء التى تناولت الماركسية بالبحث العلمى الصحيح أن تجمع على أن ماركس اعتمد فى اسس نظريته على متغيرات اقتصادية وعلمية تكشف من بعد فسادها وسقوطها وأن النظرية لم تكن وليدة بحث علمى وانما جاء البحث تبريرا ودفاعا عن النظرية ، وانه اذا كانت النظرية منسجمة مع الظروف الاقتصادية السائدة فى القرن ١٩ فانها لا تنسجم ولا تتفق من الظروف الاقتصادية السائدة اليوم ، وان مبالغة ماركس فى التركيز على التفسير الاقتصادى كانت بمثابة رد فعل ضد اسلوب التفكير الذى كان سائدا فى عصر ماركس والذى كان يتجاهل العامل الاقتصادى .

ويرى الباحثون ان كل نظرية يخالفها الواقع تصبح عندئذ غير علمية ويجب أن تطرح فى سلة المهملات . وقد بالغ ماركس فى تقدير فكرة استغلال

الانسان للانسان واستغلال أصحاب رءوس الأموال للعمـــال مما حمله على الدعوة الى الغاء الملكية الخاصة . هذه الظواهر التى شهدها ماركس بعد منتصف القرن التاسع عشر واقام عليها نظريته لم تلبث أن تغيرت تماما بعد صدور التشريعات الاجتماعية التى شملت حق العمل وحق العامل فى أجر مناسب ورعاية صحية ومعنـــوية فى حالة الشيخوخـــة والمرض والعجـــز عن العمل . كذلك رعاية الدولة للأمومة والطفولة .

***

الفصل الثانى

الماركسية والمجتمع

تتوجه الماركسية الى المجتمع البشرى بأكبر ضربة من ضرباتها من حيث ترى ان الأسرة هى دعامة المجتمع البرجوازى . ومن هنا يجب تحطيم هذه الدعامة والقضاء عليها ، ومن هذه النقطة بدأت الدعوة الى قيام العلاقات الجنسية الحرة مقام الزواج ، وتقرر الماركسية أن الفرد وسيلة وليس غاية وانه ذرة تفنى فى جسم الدولة ومن شأن ذلك الغاء حق الملكية الفردية وحق التوريث وحق ثمار الكسب . وتعد رسالة انجلز عن الأسرة دعامة موقف الماركسية من المجتمع فقد حمل عليها حملة شديدة وهاجمها واعتبرها مدعاة للتهالك على الادخار والاكتناز ، ولذلك يجب القضاء على هذا النظام ليحل محله نظام الجماعية العامة ، يقول انجلز : ان الأسرة هى وضع من أوضاع المجتمع لا نضوج فيه ولا جدوى ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأثيره الا بالقدر الذى يلائم مصلحة الدولة ، وبالقدر الذى يستطيع أستغلاله لتدعيم هذه المصلحة فالطفل لا يولد لأبويه بل يولد للمجتمع » .

ولا ريب أن القضاء على الأسرة فى النظرية الماركسية انما يستهدف القضاء على كل دعائم القوة والحيوية ويفتح الطريق أمام المجتمع . وقد أدى هذا الى اضمحلال عقيدة الزواج بعد أن سعت الشيوعية للقضاء على الأسرة بحجة أنها تنمى احاسيس الأسرة الذاتية وحب التملك .

وفى هذا معارضة للفطرة ولهدف الدين الحق الذى يرمى الى حماية الأسرة وتنظيم الزوجية غير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ولم تستطع أن تعيش فقد صدمتها طبائع الأشياء فتراجعت الشيوعية عن ذلك كله واحدة بعد أخرى ، واعترفت بالأسرة كما تراجعت عن الملكية الفردية .

غير أن الماركسية بقيت فى موقفها بالنسبة للفردية الانسانية فهى تعارض

الاعتراف بكرامة الفرد فى ذاتيته وآدميته ، حيث يرى المذهب أن الدولة وقوتها المادية القاهرة هى كل شيء والفرد لا شيء أو هو مجرد آلة مسخرة بين الدولة والفرد ، الفرد وسيلة والدولة غاية .

ولا ريب أن فكرة المشاعية الجنسية التى تقررها الماركسية أمر لا تقره البشرية بطبيعتها ، فالحياة الأسرية عندها مقدسة ، وهى تستهدف تمزيق الروابط الأسرية والقيم العائلية ، ولا يوجد فيما نعلم مجتمع يأخذ بنظام المشاعية المطلقة فى علاقات الرجال بالنساء ، وكل من تصدى لهذا من قبل أمثال أفلاطون وكامبلانلا كان من نصيب دعوتهم الاخفاق والهزيمة حيث رفضت المجتمعات هذا النوع من التقليد .

وكذلك فقد اخطأ المفهوم الماركسى الذى اعتبر « الحرية » مجرد تحرير الضروريات من اسر الطبيعة بالعلم او من قبضة المستغلين ، والغربيون والراسماليون يطلقون حكم حرية على كل انقلاب من مدار الحق والخير مادام يخدم رغباتهم ومصالحهم المادية ولو كان ذلك على حساب اظلام النفس الانسانية وتدمير الجانب الربانى منها مادام الفرد لا يسبب ضررا للآخرين وهو فهم خاطيء مصيره تدمير النفس وتدمير الآخرين . وتلك هى حرية الربا والاستغلال ، ولا ريب أن الرسالات السماوية وحدها هى التى تحقق الحرية الحقيقية للناس جميعا بتخليصهم من عبادة العباد الى عبادة الله ومن جور الحكام الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة .

بل ان مساواة المراة فى الديمقراطية والشيوعية ، هى مساواة جائرة أساسها انهيار بناء الأسرة ونكول الرجل عن اعالة المراة واضطرارها الى ان تعمل مثله لتعيش .

وفى الشيوعية عملت المراة فى المصانع والمزارع واعمالا لا تلائم الا اقوى الرجال فهى تكتسح الثلوج من الشوارع ليلا ، بينما افسح الاسلام للمراة حق العمل وحق الكسب الذى منحته الشيوعية اليوم منذ اربعة عشر قرنا ولكنه ابقى لها حق الرعاية والكفالة فى اطار الأسرة ، وقد ساوى الاسلام بين الرجل والمراة من الناحية الدينية والروحية وفى طلب العلم والثقافة وحق التملك والتصرف الاقتصادى .

ومن أخطر محاولات الماركسية فى ميدان المجتمع هو هدم الفردية : الفردية الواضحة المسئولة لحساب الجماعة الغامضة ، ومن ذلك خطأ

ماركس فى القول بأن الفرد نتيجة منفعلة وليس بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية . ولا ريب أن مصدر هذا هو ما فسره العلامة جوستاف لوبون حينما قال ان الصفة الرئيسية للاشتراكية هى الحقد على جميع الأفضليات : أفضليات النبوغ والثروة والذكاء .

وقد كشفت النظرية الماركسية والتجربة الشيوعية فى كل مكان وصلت اليه عن اخطار كبرى :

الأول : اهدار الكرامة البشرية . وذلك بالقضاء على مفهوم فردية الانسان وحريته الخاصة وكرامته الذاتية وقدراته الحرة التى تمكنه من الابداع والتقدم والطمأنينة على سلامة العيش والى القدرة على وضع مجتمعه فى أوج الازدهار .

الثانى : تدمير الأخوة الانسانية . وذلك باثارة روح البغضاء والحقد بين الطبقات بما يحول دون رخاء المجتمع أو اندفاعه الى حركته الجامعة نحو التقدم .

الثالث : اذلال الانسان وتحقيره . وذلك بجعله أشبه بترس فى آلة ، ليس له حق احتلال كيانه الخاص ولا مقدراته الحرة فى التفكير والعمل ، وخاصة ما يتصل بالقضاء على انسانية الانسان وقداسة الأسرة وحرية الفكر . ولا ريب ان هذه التحديات الكبرى قد سجلت على التجربة الماركسية الشيوعية انها ضد الفطرة وضد تيار التقدم البشرى .

وان من يقرأ ما كتبه سارتر و (اندريه جيد) وهما ممن شاهدوا التجربة الشيوعية عن قرب يظهر له ذلك جليا ، فقد كتب سارتر قصة (الأيدى القذرة) عن أعضاء الأحزاب الشيوعية وقال انهم آلات مسخرة لا يملكون لأنفسهم شيئا ، وان الحرية لا وجود لها فى الشيوعية وخاصة الحرية الفردية كما تسميها الوجودية .

* * *

(٢) الماركسية وصراع الطبقــات

ان اخطر ما حاولته النظرية الماركسية هى احــلال الصراع الدموى والتمزق النفسى بين فئات الأمة الواحدة والشعب الواحد بحيث لا يقر لهذا المجتمع قرار ولا يصل الى الطمانينة والسلام الاجتماعى ابدا . وقد وضعت هذه القاعدة الخطيرة منذ وقت مبكر وتضمنتها وثيقة البيان الشيوعى حيث قالت : « ان تاريخ كل مجتمع قائم فى هذا العصر هو تاريخ للصراع الطبقى » .

ولما كان مبدأ « الصراع الطبقى » هو الاساس لكل شىء فى مفهوم الماركسية فقد حق على تلك المجتمعات ان تتمزق وتنهار وهو مبدا يقوم على تقسيم المجتمع الحاضر الى طبقتين يتصاعدان دوما ولا يجوز التوفيق بينهما واقامة السلام لهما : هى طبقة العمال وطبقة المالكين ، بل توجب الماركسية تغذية الأولين بالحقد ليثوروا وينقضوا على الآخرين دون احترام لقانون او لمبادىء الأخــلاق او حقوق الانسان او قواعد الدين كما صرح ماركس نفسه .

وفكرة « الصراع الطبقى » هى وسيلة ماكرة لحقن العمال بالحقــد على كل من عداهم من الناس وتجنيدهم ليصبحوا اداة للثورة الهوجاء ليصبح العمال بأنفسهم الوسيلة الفعالة فى القضاء على آخر امل للعامل فى أن يكون مالكا وحرا طليقا .

يقول ماركس وانجلز : ان الشيوعية تؤمن بمبــدا اجتماعى واحــد هو صراع الطبقات وأن صراع الطبقات يعود بالضرورة الى ديكتاتورية الطبقة العاملة وأن هذا لن يتحقق الا باشعال نار الثورة العمياء والانقلاب الشامل المبيــد .

ويقول لينين : ان رسالتنا ان نثير الطبقة العاملة ونملأ قلوبها بالحقد والغيظ حتى تستطيع هدم المجتمع ، ويقول ستالين : لن تثور الطبقة العاملة الا اذا ملأنا صدورها بالحقد والمقت على الطبقات الأخرى وليس معنى هذا كله الا مصادرة السلام وتهديده !

ومن هنــا يتكشف أمر تلك الأكذوبة الكبرى التى تخــدع الماركسية

الشيوعية بها الناس فى كل مكان عن السلام العالمى ، ومن مفتريات الشيوعية قولها انها تعمل للسلام العالمى وتاريخ الشيوعية يثبت عكس ذلك من خلال مذهب قائم على اثارة القلاقل والفتن والحروب ، فهم المخربون الهدامون ، ولعله لو قيل حقا فانهم العاملون على تهديد السلام العالمى وامن الشعوب .

وقد أقام ماركس حتمية الصراع الطبقى فى ظل الملكية الفردية لوسائل الانتاج الحديثة فى ضوء ثورة الشعوب فى أوروبا على الملكية الاقطاعية وجزم بعد ذلك — فى نبوءاته وفرضياته وجبرياته المنهارة — بتوفر اسباب ثورة العمال على البرجوازية فى انجلترا حيث رجح ماركس ان يتخذ منها مركزا لقيادته ولمراقبة الأحداث فيها عن قرب ، ولكن ماركس نفسه لم يمت حتى شاهد فشل نظريته العلمية هذه اذ لم يحدث الصراع الطبقى لا فى انجلترا ولا فى أمريكا حيث جزم بحتميته فيهما .

وقد كان من اكبر الأدلة على بطلان النظرية إنها لم تستطع ان تلقى قبولا فى البلاد الحرة ، تلك البلاد التى جزم ماركس بأنها وحدها التى تهيأت فيها أسباب الثورة وبالرغم من صراحته بأن روسيا كدولة متخلفة لا تصلح لبث دعوته فانها هى التى أمكن تآمر القوى اليهودية والماركسية على احداث الانقلاب فيها عقب الحرب الأولى وفى ألصين عقب الحرب الثانية .

(٢) وتعد نظرية الصراع بين الطبقات بالاضافة الى ألغاء الملكية الخاصة ونظرية المادية التاريخية فى مقدمة الخصائص التى تميز مذهب ماركس عن المذاهب الاشتراكية ألأخرى ، ويرى ماركس ان التغيرات التاريخية التى تطرأ على الجمعيات ألانسانية انما تحدث نتيجة للصراع الطبقى وبسبب انتصار طبقة اجتماعية معينة على غيرها من الطبقات .

ويقول المراجعون للفكر الماركسى ان فكرة الطبقة تعبير غامض فما هى الطبقة ، حيث لا يرى ماركس امامه الا طبقتين : واحدة تملك وسائل انتاج الثروة والأخرى طبقة العمال الأجراء . ولقد كان هذا المفهوم قاصرا على عصره وبيئته التى عاش فيها (انجلترا) حيث كانت هناك طبقتان ، ودزرائيلى كان يقول ان فى انجلترا امتين مختلفتين ، فالنظرية هنا محدودة حيث لم يستطع التعرف على المجتمعات الأخرى ، وتبين سذاجة التنبؤ حينما أشار ألى انقراض الطبقة الوسطى فالملاحظ أن الطبقات الوسطى لم تأخذ فى الانقراض أو الاندماج فى طبقة العمال كما تنبأ ماركس ، كما نجد أن اثر الملكية اخذ يتلاشى كمقياس أو كأساس لتحديد المركز الاجتماعى للفرد وأن أساس تقييم الطبقات لم يكن دائما اقتصاديا وأن ذلك الأساس كان أحيانا سياسيا وتارة دينيا وتارة عسكريا .

ففى الشعوب التى يسيطر عليها النشاط السياسى نجـد أن الطبقة العليا تكون لأصحاب النفوذ والسلطات فى شئون الحكم والادارة وفى بعض المجتمعات الدينية يختلف الأمر وفى المجتمعات التى تغلب عليهـا الحيـاة العسكرية تسود طبقة ارستقراطية بحد السيف .

كذلك فقـد كشف الباحثون عن خطأ فكرة الصراع الدائم من واقع التاريخ البشرى نفسه وتبين انه غير صحيح ما ذكره ماركس من ان التاريخ قد شهد دائما صراعا بين الطبقات العليا الحاكمة والمالكة لوسائل الانتاج من ناحية وبين الطبقة موضع الاستغلال . وتبين وقائع التاريخ : ان الطبقة العاملة منذ نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين قد استطاعت فى الدول الراسمالية المتقدمة ان تنال الكثير من الحقوق الاجتماعية والسياسية دون أن تقوم بحركات عنيفة ثورية وانما نالتها بموافقة الطبقة العليا الحاكمة ذاتها فقد سارت حركة التطور فى اتجاه غير الذى تنبأ به ماركس عندما اتجهت الدول الى تحقيق اكبر قدر من المساواة بين هاتين الطبقتين فعمدت التشريعات الحديثة الى التضييق من حقوق الملكية شيئا فشيئا كما وجدناها من الناحية الأخرى تكفل الكثير من ضروب الخدمات الاجتماعية للطبقـة العـاملة .

كما وجدنا ان الطبقة العاملة لم يزدد بؤسـها حدة أو فقرها شـدة كما تنبأ ماركس (فى ظل النظام الراسمالى) بل نجد بالعكس ان مستوى معيشتها اخذ فى الارتفاع باطراد كما افضى الى تحسين فرصة التعليم المتاحة لأفراد تلك الطبقة العاملة بحيث اصبح نظام تعليمهم قريبا من نظام الطبقة الوسـطى .

انه نظرا لما حدث من تطور لم يتوقعه ماركس اصبح من الميسور تسوية ما ينشأ من نزاع او من صراع بطريقة سلمية . وهذا ما حدث بعضه بوجه خاص فى العصر الحديث فى بعض البلدان الغربيـة حيث قام بعض كبار الراسماليين باشراك العمال فى نصيب من ارباح مشروعاتهم .

ويقول الباحثون : انه اذا كانت ظاهرة الصراع بين الطبقات اكثر صور الصراع التى لفتت نظر ماركس الا انه قد فاته ان التاريخ قد عرف من قبل ومن بعد صورا أخرى من صور الصراع يفوق بعضـها الصورة التى ذكرها من حيث آثارها وتأثيرها فى تطور التاريخ .

ومن هذه الصور : الصراع بين جميع طبقات الشعب فى بلد من بلاد ضد جميع الطبقات فى بلد آخر .

يقول بودان : فى كتابه « الوجيز فى تاريخ المــذاهب الاقتصـــادية » أن ماركس قد غالى فى ابراز الصراع الطبقى داخل الأمة الواحدة وبذلك اهمل العوامل التى تلطف من حدة هذا الصراع وعلى راسها اندماج أفراد الطبقات المتصارعة فى انسانية واحدة .

كذلك فقد فات ماركس : أن يشير الى ما كان معروفا من أمر الصراع بل الحروب بين مختلف القبائل قبل أن تنشأ القوميات .

كذلك فان الجزيرة العربية قبل الاسلام لم تعرف صراع الطبقات .

كذلك فقد فات ماركس أن يشير الى اهم ضروب الصراع بل الحروب التى عرفها التاريخ قديما وهى الحروب التى قامت باسم المعتقدات الدينية . والصراعات التى قامت داخل الطبقة الراسمالية نفسها والصراع بين رجال الصناعات واصحاب الأملاك .

وهكذا يتبين فساد نظرية ماركس التى تقول ان الصراع بين الطبقات هو المحرك الأول لركب البشرية والعامل الاساسى فى تطور المجتمع وتقدمه وانما الحقيقـــة أن الصراع بين الطبقـــات هو هـــدف الماركسية فى تدمير المجتمعات . ولذلك فانه مصدر تدميرها فى النهاية .

قال سدنى (وهو احد مشاهير الكتاب الماركسيين) : اذا تطرق الشك الى نظرية صراع الطبقات فبان فسادها فان صرح النظرية الماركسية ينهار من اساسه . والحقيقة أن من يراجع الأسلوب الذى اتخذه ماركس فى التركيز على هذه الظاهرة الكاذبة الملفقة يعرف الهدف الذى يرمى اليه والخلفية التى يصدر منها وهى تغذية الحقد فى نفوس الكثير من أفراد الطبقة العاملة والعمل على تمزيق روابط الأمة الواحدة .

واذا كانت هذه المحاولة قد وجدت مجالا للانفجار فى المجتمعات الغربية فانها لا تجد مثل هذا الأثر فى المجتمعات الاسلامية ، لأن الاسلام قرر لصالح الفقير والأجير من الأحكام فى مجال التعـــاون والزكاة والتكامل والتعاطف والرحمة شيئا كثيرا من شأنه أن يخلق الالتقاء بين الطبقات والفئات بحيث لا تدع مجالا لخلق البغضاء والحقد أو النزاع والصراع .

الفصل الثالث

الماركسية والدين

تقرر النظرية الماركسية أنه ليس فى الكون خالق بل الكون مادة .
وعبارة ماركس فى هذا الصدد واضحة صريحة (لا وجود لله والحياة مادية بحتة) وعندهم أن الأديان مخدر للعقول يجب التحرر منه وانقاذ البشرية من شره ، فالدين هو افيون الشعوب يخدرها ويقضى عليها . وان رسالة الشيوعية هى القضاء على الدين والداعين اليــه وان الدعامة الأساسية هى (الالحــاد ــ انكار البعث ــ طبــع الجانب الاجتماعى والاقتصــادى والسياسى بالمادية ــ تحطيم المعايير الخلقية والقيم الروحيــة) والالحاد فى الشيوعية من سياسة الدولة وهو الحاد الزامى ، على اساس ان ضعف الدين هو منطلق استعلاء النزعة المادية . وعندهم ان الدين ليس الا تفسيراً خاطئا للظواهر الاجتماعية . وهم يعللون انتشار الدين كذبا بالظروف المادية التى عاش فيها الانسان الأول وان جهل الانسان بظواهر الطبيعة هو الذى جعــله يلتمس قوة عليا يسعى الى كسب عطفها اما بعــد تجارب العلم فأن البشرية لم تعد فى حاجة الى الدين وبذلك فان الدين هو افيون الفقراء وقد اعلن لينين فى صراحة تامة :

« ان الماركسية هى المادية ومن ثم فانها معادية للدين » ومن فلسفة الشيوعية أنه لا حقيقة سوى المادة وان الانسان واعماله مادة ، ومن هنا فان الشيوعية الماركسية ترى ان الحرب ضد الدين من ابرز اعمال الثقافة .

* * *

وتقرر الماركسية ان الدعامة الأساسية فى المذهب هى اللادينية المطلقة وبث الاعتقاد بأن ليس لهذا الكون خالق بل هــذا الكون مادة فى مادة .
يقول كارل ماركس : لا وجود لله . والحياة مادة بحت . ويرى فى الأديان

جميعا مخــدرا للقول يجب التحرر منه ، وانقــاذ الانسان من شروره . فكل دين عندهم هو افيون الشعوب .

فالدعامة الأساسية فى الشيوعية : هى الالحاد وانكار وجود الخالق وانكار البعث والحساب ويقررون ان ضعف الوازع الدينى من شأنه ان يؤدى الى طغيان النزعة المادية فى كل نواحى الحياة .

ويؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين تأتى من عــدة عوامل هامة :

أولها : ان الشيوعية قد جاءت بوصفها عقيدة أو دينا يحــل محل الأديان القديمة ويحتقرها ويناهضها بالدعوة الى الالحاد والمادية التى تنكر الله تبارك وتعالى ورسالات السماء . وقد شن الشيوعيون على الأديان حربا عوانا لا هوادة فيها واعتبروا الشيوعية دينا ولينين وستالين انبياء بدلا من موسى وعيسى وكتاب راس المال كتابهم المقدس البديل عن التوراة والانجيــل .

كذلك فان نظرة الشيوعيـــة الماركسية الى الدين مادية فى كليتهــا فهى ترفض الروح والمعنويات والغيبيات ورسالة السماء .

يقول ارنولد توينبى : ان الشيوعية دين بكل تاكيد وهى دين خالص وقديم رغم المظهر الأيديولوجى الجديد ، انها كالقومية شكل من اشكال عبادة الانسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم ، انها آخر تنوع لعبادة الآلهة روما والاله قيصر فى الامبراطورية الرومانية وعبادة الملك ــ الاله فى قصر الفرعون .

ويقول ارنولد توينبى : ان الحرب بين الغرب والشيوعية هى صراع روحى بين دينين متنافسين يختلفان فى قضية حيوية هامة .

ان الغربيين يقاتلون اليوم من اجل مفهومهم للدولة القومية ولعبادة القوة البشرية الجماعية المجسدة فى شكل امة ، وهذه هى احدى ديانات المجتمعات الغربية المعاصرة ، ولكن اللؤلؤة التى لا تثمن عند الغربى المعاصر ليست قوة امته بل قداسة الشخصية البشرية بحد ذاتها .

ولا ريب ان مفهوم الشيوعية للدين فى حد ذاته يكشف عن أنه هو العدو الأول لمنهجهم ، ولذلك فهم يتحامونه بقــوة ويضربونه بعنف ويجعــلون

من الشيوعية عقيدة ونظاما يكاد يكون كاملا وليحل محل الدين . ومن هنا فان قبولها لأى دين مستحيل والجمع بينها وبين أى دين من اكبر المستحيلات . ذلك أن الماركسية عند المتمذهبين بها هى دين له سلطانه عليهم وله أحكامه ومبادئه الموجهة لآرائهم وأعمالهم . وان أى خروج على مقررات هذا المذهب هو خروج على ناموس الجماعة التى تتمذهب به وتعمل فى ظله . ومن هنا فان الاسلام دين والماركسية دين ومن المستحيل الجمع بينهما اذ أن لكل نظرته الى الوجود وتفسيره لظواهره وسلوكه الذى يجرى مع هذه النظرة .

ولا ريب أن الشيوعية تختلف مع الاسلام فى أمور ثلاثة : نظام الأسرة ، والأخلاق ، والمواريث ، فالشيوعية تنكر أن تكون للأسرة قداسة أو أن لها كيانا خاصا له استقلاله وكذلك تنكر الولاء العائلى لأنه يحول دون تحقيق أهداف الماركسية ، كذلك فان الماركسية تخالف الاسـلام خاصة والدين الحق بصفة عامة فى أخطر الأمور وأعلاها وهو الألوهيـة وقدرة الخالق وارادته العليا فى أمر الحياة والناس والكون . ومن هنا ينكشف اتحاد النظرية الماركسية التى ترد حركات التاريخ كلها الى الأسباب الاقتصادية ، وترى أن الاقتصاد هو الذى يملى على التاريخ حركته ويسيره حيث يشاء فلا مجال هناك للاعتراف باله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم ، وليس الدين عندهم الا تفسيرا خاطئا للظواهر الاجتماعية وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البائدة ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به بعض الناس ، ولا شك أن ماركس يركز فى فهمه للدين وفى رفضه اياه على الأديان التى عرفهـا وعايشها هو وأهله (اليهودية والمسيحية) . ولا ريب فى أنه يصدر عنهما حين يقول ان الدين أفيون الشعوب وانه وسيلة للاخضـاع الروحى ، فوجهـة نظر ماركس فى الدين مستمدة من مفهومه للمسيحية وتاريخها وصراع اليهود معها فى أوروبا ، ويصدر عن مرارة الحقد الذى يمتلىء به قلبه تجاه المجتمع الغربى المسيحى الذى استطاع أن يكون هذه الحضـارة الضخمة . أما الاسـلام فانه لم يعرفه وقد اختلف رأى الماركسيين الذين عرفوه عن رأى ماركس كما نرى فى كتابات (جارودى) .

يتحدث ماركس عن المسيحية على النحو الذى عرفها به من تفسيرات الرهبان والأحبار فى الغرب وهو ما ليس صحيحا بالنسبة للدين المنزل الذى جاء به عيسى عليه السلام **« مصدقا لما بين يديه من التوراة » « ورسولا الى بنى اسرائيل » « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »** .

يقول : ان المسيحية تفرض الجبن واحتقار النفس واذلالها وتحبذ الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد وأن أصحاب المصـالح قد استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة فى استغلالها فجعلوها دين الدولة

بعد قرنين ونصف من ظهورها . وجاء البرجوازيون فى المانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها لضعفهم فاستفاذ منها الملوك المطلقون وانها رفعت عنهم سلطان الكنيسة ؛ والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء لانه يدعوهم الى أحتمال المظالم ولا يزيلها » .

ذلك رأى ماركس فى الدين بعامة الذى أقام عليه نظريته وهو محصور فى حدود عصره وحدود بيئته . ولو ان ماركس اطلع على الاسلام واراد للبشرية الخير لحطم نظريته ، ولكن ماركس كان يعمل فى اطار الحركة التلمودية الربوية الطامحة للسيطرة على العالم عن طريق الشيوعية الماركسية والصهيونية معا .

ومن ثم كانت الخطة كما كشفت عنها من بعد بروتوكولات صهيون هى هدم الالوهية والدين ومناعة الأخلاق ونظام الاسرة والزواج .

وهى بهذا تهاجم العقيدة والنظام الاجتماعى معا وتقدم مفهوما ماديا خالصا للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة ؛ يستمد مفاهيمه من ركام الفكر البشرى القديم الذى عرفته الوثنيات المختلفة ، فى الشرق والغرب ويقدم تصورا ماديا اباحيا ملحدا فى أمر الحياة والكون والانسان يرى ان وحدة العالم فى ماديته وخاصة مادية الحركة القائمة على التناقض فلا يحتاج الكون الى قوة خارجية ولا يحتاج الى خالق مسير مدبر .

اما الاسلام فيرى أن وحدة العالم فى اسلام النفس له وان خاصيته المحركة لأجزائه تتمثل فى خضوعه لله . فالكون بدون مدبر خالق أمر لا يمكن أن يتصوره عاقل . فالله تبارك وتعالى هو الخالق المسير والمدبر لشئون الكون . وتقوم الماركسية على الصراع وتجعل من الزوجين « سنة الله فى خلقه » نقيضين متضاربين . بينما يرى الاسلام فى حركة الزوجين تلاقيا وتكاملا .

وتقوم الماركسية على أن الدين هو نتيجة الضياع الذى يعانيه الانسان وانه هو المخدر والأفيون الذى يستغل به الشعوب ، وفى الاسلام أن الدين هو الذى يلد الانسان من جديد ويخلق السكينة والأمن ويبنى القوة والارادة والوعى ويحفز على العمل .

والايدلويوجية الماركسية ليست فى حقيقتها الا مدخلا وتدبيرا لهدف تدمير نظام المجتمعات القائمة وابدالها بنظام جديد ، يقوم على اعدادها لالتهام التلمودية اليهودية العالمية وامبراطورية الربا لها . ولذلك فانه يقوم على

الأهواء والظروف والفرضيات وبتجاوزه المفاهيم العلمية فى كل يوم فليست هناك اشتراكية واحدة ولكن هناك اشتراكيات . وتستهدف الاشتراكية تصفية الملكية الفردية وتسليم الجماعة الديكتاتورية البديلة كل شىء وتجريد الشعوب من كل ما تملك . ويقوم هذا التغيير على بحر من الدماء وعلى الصراع الدموى . وبه يكون الانسان عبدا لمنهج بشرى حيث تقوم عبودية الانسان للانسان واذا كانت الراسمالية نظاما بشريا مليئا بالثغرات والأخطاء فانه ليس بديلا للاشتراكية ، ولكنهما معا قطاعان فاسدان لانهما وليدا المنهج البشرى الذى يخرج عن حكم ما انزل الله . ولقد تجاوزهما التاريخ بعد أن ظهر فسادهما واصبح يتطلع الآن الى منهج الله .

وليست الماركسية هى اول نظام سياسى واقتصادى واجتماعى يتحدى العقيدة الدينية ويتهمها بأنها عائق فى وجه الاصلاح ، فقد ظهرت نظم كثيرة تطورت الى نظم اخرى ثم اندثرت وداستها اقدام الأصالة والفطرة وبقيت العقيدة كامنة فى قرارة السلوك الانسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب وتلهم الناس اسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الالهية والاستقرار النفسى والاجتماعى .

وقد تبين ان الاشتراكية والشيوعية كالراسمالية نظم سياسية واقتصادية . اما الدين الحق فانه عقيدة وايمان فوق أنه دستور للنشاط الانسانى ولذلك فانه لا وجه للمقارنة بينهما ولا ريب أن الخلط بينهما تصور فاسد فى فهم العقيدة .

والاسلام الذى واجه فلسفات وعقائد كثيرة طوال اربعة عشر قرنا وصمد لها وحطمها وكشف زيفها لا ريب قادر على أن يواجه الفلسفة المادية: ماركسية وشيوعية وماسونية وفرويدية ووجودية جميعا ، ولابد أن ينتصر عليها ، ولقد بان عوار هذه النظريات والايديولوجيات بعد فترة قصيرة من اعلانها حيث عجزت عن الاستجابة لاشواق النفس الانسانية ومطامحها فى الأمن والسلام الاجتماعى وسكينة النفس .

ومن هنا تسقط كل دعاوى القائلين باللقاء بين الاسلام والاشتراكية او الاسلام والديمقراطية او الاسلام والوجودية ، فالماركسية والتدين نقيضان ، والماركسيون الحقيقيون يعلمون هذا ولكن بعضهم اتخذ من الدعوة للتوفيق بين الماركسية والدين اسلوبا لغزو المجتمعات المتدينة التى ترفض الالحاد بقوة ، وهو مجرد اسلوب من اساليب الدعاية لا يرتكز على اساس من الماركسية او الدين . فكل منهما يرفض الآخر رفضاقاطعا ، وما قال عن تطوير الماركسية لا يتناول جوهر المذهب وموقفه من الوجود والمجتمع والتاريخ وهو جوهر الحادى صريح .



(٢)

يقول الدكتور على عبد الواحد وافى : ان الشيوعية مذهب كامل متكامل فلها رأى نظرى فى فهم الكون والمجتمع والطبقات وما وراء الطبيعة ، ولها رأى عملى فيما ينبغى أن تكون عليه الحياة الفردية والحياة الاجتماعية فى جميع ما يشتملان عليه من فروع وأوضاع . وهما كذلك مذهب متكامل بمعنى أن نظمها ترتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ويكمل بعضها بعضا ؛ ولا يكون الفرد شيوعيا الا اذا اعتنق ما تقرره الشيوعية من مذاهب ونظريات ويخطىء من يظن أن الشيوعية مذهب مقصور على شئون الاقتصاد وتنظم الطبقات . ذلك أن أوضاعه الاقتصادية تقتضى أوضاعا عقائدية واجتماعية خاصة تتسق معها وتسايرها فيما تتجه اليه . وهى فى وضعها السابق متعارضة تعارضا جذريا مع الاسلام بمفهومه الصحيح ، ولا يبدو هذا التعارض فى شئون العقيدة والألوهية وما وراء الطبيعة فحسب ، بل يبدو كذلك فى كثير من نظم الاجتماع فالشيوعية لا تقر الملكية الفردية ، ولا يمكن للفرد فى فهمه للملكية الفردية وفى موقفه حيالها ان يكون شيوعيا ومسلما فى آن واحد .

ويصور الدكتور احمد شلبى موقف الماركسية من الدين فيقول : ان ماركس حين يتحدث عن الدين يتصور أن الفرد يبتعد عن حقيقة ذاته حين يعتقد فى الله وفى الديانات المختلفة ، وانه اذا ازيلت مثل هذه العوامل استطاع الفرد أن يعود الى الحياة الانسانية الحقة . ويرى ماركس أن الدين يضعف حماسة العمال فى الثورة ضد البرجوازين لان الدين فى اعتقاده يرسم لمعتنقيه سعادة خيالية فى عالم آخر فيخفف من أثر الظلم الواقع عليهم فى الدنيا ويقلل حماسهم ضد ظالميهم ، ولذلك حمل ماركس ضد الدين وقال بأنه افيون يخدر الشعب لتسهل سرقته . ووصل ماركس الى قمة الالحاد حينما اعلن انه : لا اله والحياة مادة .

وهكذا نجد ان لينين عندما حقق النصر لحركته فى روسيا ووضع النظريات الماركسية موضع التنفيذ كان من ابرز ما اهتم به (عدم الاعتراف

بالأديان وعدم السماح لها بالظهور والغاء المجتمع المقدس ، وربما يقال ان ذلك حدث لان البابا ولان الكنيسة الروسية ايدت المظالم التى كان يئن منها الشعب الروسى قبل الثورة . وهذا صحيح ولكن كلام ماركس واعمال لينين اتجهت ضد الأديان بوجه عام لا ضد طبقة أنحرفت عن الدين أو ساعدت الباطل . ويتحتم أن نذكر أن كارل ماركس ينحدر من أسرة يهودية عانت الاضطهاد الدينى فتحول الى المسيحية بدون اعتقاد حقيقى ، ولذلك لم يكن له دين يحرص عليه ، وربما أمكن القول أنه كان يكره الاديان والمتدينين واتخذ الاقتصاد وسيلة لمحاربة الاديان ، وتلك هى طبيعة اليهود فى كراهيتها لكل الأديان ما عدا اليهودية واتخاذ الوسائل للهجوم على هذه الاديان والنيل منها .

وهكذا نجد أن ماركس مع الأسف كان ضيق الافق الفكرى وانه لم يكن بين أيديه ابعاد المجتمعات أو الفكر الدينى الحقيقى ، او وقائع التاريخ الصحيحة ، وهو يضع نظريته كعالم ، او انه انما كان يستهدف وضع نظرية بفكره مسبقة ، ولذلك فان « اتباع الظن وما تهوى الانفس » مزق نظريته بعد سنوات قليلة واحالها الى ركام حتى جاء من الماركسيين من يضرب اعتى قواعدها وهو قوله أن الدين افيون الشعوب حينما قال جارودى فى دراسته للحضارة الاسلامية :

« وهكذا لم يكن الدين (اى الاسلام) افيونا يشل المناضلين بل كان بالعكس حافزاً يلهمهمَ القتال والبطولة ، وكان أحد دوافع الحركة الوطنية . وحين يعنى الماركسى بموضوع الدين فى الظروف التاريخية المحدودة ويعرف كيف يرى انه ليس فحسب وسيلة للتعبير عن العالم بل هو كذلك وسيلة للحضور فى هذا العالم . »

« وان المتأمل فى الدور الذى يلعبه الدين وبخاصة الدين الاسلامى فى حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين فى الواقع الى اعادة التفكير بروح العصر فى مشكلة طبيعة الدين ودوره فى عصرنا . ونقطة الانطلاق فى هذا التفكير هى ان الصيغة المشهورة (الدين افيون الشعوب) والتى كثيرا ما يزعم البعض انها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين لا يمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين ، لقد كانت هذه الصيغة ملخص خبرة واقعية فى مرحلة تاريخيه محدودة ومجال جغرافى محدد ومن ثم فان القصة القائلة ان الدين فى كل الازمنة وكل الامكنة يصرف الانسان عن النضال وعن العمل تتناقض تناقضا

صارما مع الواقع التاريخى ، وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة فى عصرنا بشواهد تؤكد : ان الظاهرة الدينية لا يمكن دراستها فى ذاتها وبمعزل عن الظروف التاريخية فى كل بلد وعصر . فلقد لعبت الحركات الدينية (يقصد فى عالم الاسلام) دورا تحريريا ضد الاستعمار . وان الارهاصات الاولى للنضال الوطنى كانت باسم الله قبل أن تكون باسم الوطن . ولقد كان الانتماء الى الاسلام فى الجزائر فى القرن التاسع عشر بمثابة احتجاج ضد السيطرة الاستعمارية وذلك بالرغم من طبيعتها المثالية والاصلاحية التى تربط بين التحرير والتعليم على أن الاسلام بعيد كل البعد عن قيادة الانسان بالضرورة الى التدرية واللامبالاة بالحياة بل فى امكانه أن يكون خميرة للقتال والنضال » .

(الأهرام ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩)

* * *



(١)

الماركسية والأخلاق

لا ريب أن موقف الماركسية من الدين يستتبعه موقفها من الأخلاق فهي تدعو الى « لا اخلاقية المجتمعات » وتؤمن بالانتهازية سبيلا لفرض مواقفها واهدافها . وقد انكر المذهب الشيوعى كل التراث الخلقي الذى توارثته الانسانية منذ اقدم العصور وانكر جميع التعاليم الخلقية التى اوصت بها الأديان . ولانجلز موقف صريح واضح فى هذا الشأن حيث يقول :

« ونحن نرفض أن نذعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانونا خلقيا خالدا وغير قابل للتبديل والتغيير ، ونرفض أن نعتبر بأن هناك مبادىء خلقية ابدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب . وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة انما هى عند تحليلها ليست الا ناتجا اصطنعه المستوى الاقتصادى الذى بلغه المجتمع فى عصر معين . ولما كان المجتمع الانسانى الى اليوم لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات فالأخلاق التى يعترف بها المجتمع ليست الا النظام الخلقي الذى نعتز به طبقة معينة ، نظاما كان طورا يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويذود عن مصالحها او يبرر طغيان الطبقة التى كانت مغلوبة على أمرها حتى وصلت الى الحكم ولا يمكن وجود نظام اخلاقى وانسانى شامل الا بعد ان ينتهى حرب الطبقات » .

ولا ريب ان هذه العبارات تكشف بوضوح ان الأخلاقيات تعوق الهدف الذى ترمى اليه الماركسية التى تجعل من اساسها الأول : صراع الطبقات او الصراع الدموى للطبقات . ولذلك فان لينين الذى طبق الماركسية حين اقام النظام الشيوعى فى روسيا يؤكد هذا الاتجاه حين يقول :

« نبذنا الاخلاق والنظم الخلقية ، على الوضع الذى تدعو اليه البرجوازية باعتبار أن هذه النظم الخلقية تتضمنها اوامر الهية او منسوبة

الى أوامر الهية . نحن نرفض كل نظم خلقية مشتقة من مصادر غير بشرية وغير طبقية » .

ويدعو لينين الى العنف الذى لا يقيده قانون . ويرى أن نظامهم الخلقى هو النظام الذى ترسمه مصالح الكفاح الطبقى وأخلاقهم هى التى تمليها مصالح هذه الحرب الطبقية « وان النظام الخلقى الشيوعى ليس الا اداة نسخرها لنيل النصر فى هذه الحرب فالأخلاق عندنا هى كل ما يؤدى الى هدم هذا المجتمع » .

ويقول ماركس فى الاعلام الشيوعى : ان القانون والأخلاق والدين ليست فى نظرنا الا أوهاما برجوازية . ويدعو ماركس صراحة فى اعلانه « ان الغاية تبرر الوسيلة فكل وسيلة يستعين بها العمال على هذا الهدم فهى وسيلة محمودة ومشروعة » ويقول : « ان النظام الخلقى فى كل مجتمع هو ديانته وقوانينه ليس الا جزءا من بناء زائف اقامته ظروف الانتاج ويعكس مصالح الطبقة السائدة » .

ويرى هارولد لسكى : « ان أخلاق الماركسية هى الأخلاق التى تميزت بالوحشية والكذب والخيانة والخداع وتشويه الوقائع »

ولا ريب — كما يقول دكتور صلاح نامق : ان الفكر الماركسى يرى أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تتستر وراءها المجتمعات من اجل مطامعها .

ويؤكد قول لينين : اننا معشر الشيوعيين لا نستمد قواعد الأخلاق والسلوك الاجتماعى من أوامر الله لاننا نخرج على جميع الاخلاق والآداب التى يعتمدها المجتمع البشرى ونرى انها خداع وتضليل . وبذلك يكشف الفكر الماركسى عن تهالكه على النواحى المادية كأنها الغاية المثلى من هذا الوجود . وهذا ما يضفى ظلالا باهتة على النظم الشيوعية ويبعدها عن كل ما ترنو اليه البشرية من أهداف ومثل عليا .

وكل تصريحات لينين وانجلز وماركس بأنهم يرفضون كل ما يقـــرره الدين من خلق يعنى أن الفلسفة الماركسية اللينينية لا تؤمن بالأديان أو الرسل أو الأنبياء لان الدين عندهم بقايا من النظم الاستقلالية الباقية ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ومن ثم فمن اوجب الواجبات فى رأى لينين نبذ الدين والتحلل من قيوده . وهنا يمكن التساؤل :

اذا كانت الاديان فى الفكر الماركسى لا وجود لها فكيف يقال ان الدول الشيوعية تخدم حرية العقيدة وتكفل للمؤمن حق ممارسة الشعائر الدينية .

ولا ريب أن من اكبر اخطاء الماركسية الشيوعية ارجاع الدين والأخلاق الى انعكاسات الأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية حيث تنكر الشيوعية الماركسية جميع العواطف البشرية والمثل العليا والقيم والاخلاق والمعانى الروحية والجوانب الانسانية .

ولقد حاولت الماركسية أن تنكر لثبات القيم الاخلاقية العليا التى جاء بها الدين وأعلنت دعوى نسبيتها وتغيرها مع اختلاف العصور أو البيئات . وذلك ما يتعارض تماما مع الفطرة وواقع التاريخ ، ذلك ان القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثبات فطرة الانسان وكيانه ووجوده وأن تغير البيئات والعصور لا يغير منها فلا يمكن أن يكون العدل ظلما أو الحق باطلا او الفضيلة رذيلة او الرذيلة فضيلة فقد اعطى الانسان الفطرة التى يميز بها الخير والشر والعدل والظلم والتقوى والفجور وستظل هذه القيم قائمة مادامت الحياة الدنيا بمجتمعاتها وحضارتها . كذلك فان الانسان أعطى الارادة الحرة والالتزام الاخلاقى وهما موضع مسئوليته وحسابه وجزائه .

وأعطى مسئوليته فى هذه الحياة كمستخلف لله فى الأرض وعليه ان يقيم المجتمع الربانى وهذه القواعد الاصيلة فى بناء الانسان والمجتمع تحاول الشيوعية الماركسية أن تدمرها وتمحوها وتقيم بدلا منها اخلاقيات انتهازية ومبعثرة لانها تهدف من وراء دعوتها الى تنازع الطبقات ودموية التنازع والتخلص من كل قيم الحق والعدل والرحمة والفضيلة . والمجتمعات البشرية لابد أن تتحرك فى اطار الاخلاقيات الثابتة العليا وليست هذه الأخلاقيات خاضعة لظروف المجتمعات ومعتقداتها .

وبالجملة فان الفكر الماركسى يرى أن الدين والأخلاق خدعة للمجتمعات وأن المادية هى نور الطريق . ولا ريب ان منطلق الماركسية هو المادية اساسا والمادية الجدلية التى تقوم على صراع الطبقات وهى بديل الروح عند هيجل وهى منكرة الألوهية وهى تعجز عن أن تجعل للمعنويات والاديان والغيبيات والوحى مكانا فى بناء الافراد والمجتمعات ولا تجد للمسائل حلولا الا بالصراع الدموى وهى التى تصرف الناس عن الأمن والسلام وسكينة القلب ضرفا حتى يظلوا فى نار متأججة لا يقر لها قرار . وقد اعترف جارودى أكبر فلاسفة الماركسية فى العصر الحديث بالحاد الماركسية وقال انها وارثة التراث الالحادى القديم الذى نشأ مع طفولة الفكر الانسانى . ويقول انها تستهدف اعادة البشرية بعد أن بلغت مرحلة الرشد بالرسالة الجامعة

الاسلام مرة اخرى الى الوثنية والمادية والاباحية القديمة الجاهلية . وقال جارودى أن ماركس تبنى شعار بروميثوس : انا ضد كل الآلهة .

وقال جارودى : ان ما يميز الالحاد الماركسى البحت هو أنه على خلاف مع سابقيه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب أو مجرد وهم ولده الجهل . بل تولد عن قوله : أن الاديان انعكاس لشقاء الانسان وضعفه . وقد اغرق ماركس البشرية فى شقاء الانسحاب من التدين وبرر لها الظلم والصراع الدموى وحجب عنها نور البصيرة وطمأنينة القلب واذاقها الذل والهوان .

* * *

الفصل الرابع

الماركسية والعلم

ان تعريفات الماركسية فى مفهوم الانسان والعالم والمصير هى شىء غريب بعيد عن قواعد العلم وبعيد عن الفلسفة المثالية التى تبدأ بنقطة بدء صحيحة هى وجود الله (تبارك وتعالى) وجودا مجردا .

وقد تبين ان تعريفات الماركسية التى قامت على فروض العلم فى القرن التاسع عشر اذا عرضت اليوم على معطيات العلم الحديث تبين أنها فى واد والحقائق العلمية فى واد آخر . وانكشف عجزها عن اعطاء التصورات الكاملة الشاملة للوجود والحياة .

وقد نشأت الماركسية فى القرن التاسع عشر فى ظل التعريف السطحى للمادة بأنها كل ما تقع عليه الحواس ، وقد تقدم العلم من بعد وتوالت الاكتشافات العلمية وتجاوزت ما يقع عليه الحس الى عالم الذرة ، ومن ثم اعادوا اصياغة التعريف بأن المادة هى الموجود الموضوعى خارج الذهن .

« وهم يقفون حائرين اليوم بعد أن افلتت جميع التعريفات من ايديهم وفقدت المسلمات النظرية حقيقتها امام الممارسة العملية من جانب والتقدم العلمى من جانب آخر .

وقد فتح تفجير الذرة الباب امام تعريفات جديدة للمادة ، ومحاولات اعمق فى مهمتها ، قال ارستوالد بأن المادة صورة من صور الطاقة فحسب ،

وقال ليبون : ان المادة صور مختلفة من الطاقة .

وقال ادنجتون : ان المادة مركبة من بروتونات والكترونات . اى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء . وقال هوايتهد : ان مفهوم الكتلة فى طريقه الى فقدان امتيازه الواحد الدائم فى النهاية . فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة فى علاقاتها ببعض آثارها الديناميكية .

وقال ليبون : ان عناصر الذرات التى تنحل تفنى تماما ، فهى تفقد كل صفة للمادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو اكثر صفاتها الاساسية . ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ولا شيء يستطيع ان يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت فى عظمة الاثير والحرارة والكهرباء والضوء بما يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها فى الاثير .

ولكن ما هو الاثير : لا احد يعرف .

يقول لورد سالسبورى : انه ليس اسما على الفعل يتموج ، والاثير خرافة ابتدعت لاخفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض الشبح أو الروح .

ويقول الأستاذ ادنجتون احدث حجة فى هذا الموضوع .

« ليس الأثير نوعا من المادة فهو لا مادى »

ومعنى هذا أن شيئا لا ماديا يحيل نفسه الى مادة بواسطة بعض الالتواء الغامض أو دوامات ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل باضافة أجزاء منه بعضها الى بعض مادة متميزة ويمكن أن توزن .

ان ظاهرة الكهرب والذرة قد جعلت المادة تفلت من ايدى العلماء ، وأفلت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل فى الثبوت .

ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة ، اصبحت المادة كلها كهارب وذرات واذا بالذرات تنفلق فتنطلق شعاعا كشعاع النور ، ومازالت الجاذبية مرضا من الفروض وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مأزق من اشد مآزق الماركسية .

٢ ــ ومن المسلمات التى قامت عليها الماركسية وثبت بطلانها افتراض ان المادة أسبق من الفكر .

ويرى العلماء اليوم أن الحواس هى ابطأ ادوات المعرفة ولذلك يشترك فيها الحيوان وبعض النبات مع الانسان فى ادراك البيئة المادية من حوله ثم لم يكن مفر من العقل كأداة ارقى فى المعرفة حتى انتهت به رؤيته للمادة الى حافة الأثير عندما خرج عن كل صفة معروفة من صفات المادة ولم يبق الا حسبة رياضية لها دلالة كبرى وهى ان الانسان ليس من صنع المادة لأن المصنوع لا يحيط بصانعه ، والانسان قد احاط بكل صورة المادة وخرج منها

الى دائرة أوسع منها هى دائرة الاثير ، واذا تحولت المادة الى حسبة رياضية يحتويها الفكر فان ذلك يجعل المنطق القائل بأن المادة اسبق فى الوجود على الفكر فى مأزق علمى شديد التناقض مع معطيات العلم الجديد وفى مأزق اشد حرجا مع مسلمات المركسية التى قامت على اساس صحة هذا الإفتراض وما ارتبط به بعد ذلك من مصالح سياسية كبرى . وما اشد محنة العالم حين يقف حائرا بين دواعى السياسة وأمانة العلم وقد اخذوا يتراجعون خطوة وراء خطوة بعد ان تخلوا عن البحث فى اولية المادة والفكر ثم بعد أن تخلوا عن البحث فى اولية التأثير المتبادل بينهما انتهوا الى الوقوف عند النشاط الانسانى فنجدهم يقولون : ان النشاط المادى للانسان نقيض نشاطه الذهنى غير أن هذين النقيضين يتداخلان كل فى الآخر ويؤلفان وحدة ذات وجهين للحياة الاجتماعية غير قابلين للانفصال ومتفاعلين .

وقد بحث مؤلفو (اسس الماركسية) العلاقة المتبادلة بين الفكر والمادة وهل الفكر مجرد انعكاس أم يعمل بطريقة فيها تمييز وقد صرفوا النظر عن ايهما وجد اولا : المادة ام الفكر .

وقالوا : ابتدع ماركس وانجلز (الجدلية المادية) خلال صراعهما ضد النظرية الميتافيزيقية للطبيعة التى تنكر التطور . غير ان الوضع قد تغير بعد مضى منتصف القرن ١٩ فقد انتشرت فكرة التطور (بفضل نظرية داروين) وفى الوقت الحالى يقوم الصراع بين الجدلية والميتافيزيقية بصفة رئيسية حول معرفة كيف نفهم التطور ، وليس حول ما اذا كان هناك تطور . ويقول لسو : ان تنازلهم عن الاصرار على ان المادة اولا سيفقدهم المقـدرة على الاصرار على أن المادة هى المؤثر الحاكم فى عملية التطور وان ذلك معد لمزيد من التراجع .

وقد اشار الباحثون الى ان كتاب اسس الماركسية اللينية الذى اخرجه ٢٩ عالما سوفيتيا عام ١٩٦٣ فى موضوع العلاقة بين الفكر والمادة قد اتى بما ينقض المادية الجدلية من اساسها .

٣ ـــ لما كانت المادية نظرية قديمة كانت معروفة قبل العصر الحديث تقوم على اساس ان الوجود مادى وهى تنكر الدين والأخلاق والفكر ومن شأن الايمان بالمادة أن يتخذها وسيلة لانكار الخالق ووجوده وانكار المسئولية الفردية التى هى مصدر الجزاء الاخروى ، ومن شأن هذا الاتجاه الفاسد اخضاع الفكر والحياة والفن للمادة . ومن شأن هذ ان يفسر التاريخ تفسيرا ماديا وأن تعزى التغييرات التى حدثت على وجه الارض الى الضرورات

الاقتصادية والمادية . هذه النظرية زيفها العلم وكشف عن فسادها كما زيفها الدين . فقد تعارضت مع أصول العلم الذى يقرر الآن ان هنـــاك جانبا غيبيا وراء مقررات الذرة والكهربائية والجاذبية وغيرها لا يستطيع العلم ان يصل اليه وليس له الا أن يسلم به مما يؤكد أن وراء هذا العالم المادى عالما آخر اكبر واعظم . وان مراجعات علماء التجريب ومقايساتهم كلها تكشف وتؤكد أن وراء هذا العالم قوة كبرى تدبره ساعة بعد ساعة وتحفظه لحظة بعد لحظة من أن ينفرط عقده وصدق الله العظيم حيث يقول :

((الله يمسك السموات والأرض أن تزولا)) ..

كما تقرر حقائق العلم ان هذا الكون يتسع يوما بعد يوم وصدق الله العظيم اذ يقول : **(وانا لموسعون)** وقد أعلن الطيارون — غير الماركسيين — الذين خرجوا الى الفضاء ايمانهم بقدرة الله ، بل ان هنـــاك ما يدل على أن الطيار الماركسي عندما اعلن ذلك اختصرت حياته على نحو من الأنحاء .

* * *

ان اعتماد الماركسية على المادة وانهـا أصل الأشـياء هو أساس قد أعتوره خلل كبير بعد تقدم كشوف العلم ، بل ان الحقيقة التى بين يدى الانسانية كلها اليوم ، ان الكشوف العلمية التى توالت والتغييرات التى أصابت المنهج العلمى كمنهج معرفة . قد اسقطت الأصول التى اعتمدت عليها الماركسية من جذورها فلقد وصل العـلم الى حقيقة هى من أمهات الحقائق : تلك هى الاعتراف بأن لهذا العلم قوة غير المادة ، قوة غيبية وراء العالم الحسى .

والمعروف أن مفاهيم العلم التى كانت قائمة فى القرن التاسع عشر (قرن المادية المغرقة) قد تغيرت الآن واضطر العلم الى التواضع فى دعاواه فغاية ما يدعيه اليوم أن يصنف ويسجل ويفسر « ظواهر الأشياء » وما يزال العلم حتى الآن نظريات وفروضا ، بل لقد نقض العلم اليوم كل دعاوى الفلسفة المادية التى حاولت أن تقول انها وليدة مقررات علمية بينما هى ليست حقائق رياضية .

ولما كانت الماركسية تعتمد على المادة وترى انها اصـل الأشياء فان هذا الجدار الأساسى قد تحطم تماما ، فقد تعثرت نظريات العـلم وفرضياته وانكشفت بانشقاق الذرة معالم جديدة تناقض الأسس التى قامت عليها النظرية الماركسية .

والواقع ان الشيوعية لم تقم على العـلم بل قامت على نظريات فلسفية وفروض عقلية حاولت أن تستمد من مفاهيم العلم القديم اساسا ، ولذلك فقد وقعت الماركسية فى ازمة شديدة الخطر حين حاولت تعـديل منهجها واصولها مرة بعد مرة كلما حاصرتها متغيرات العلم ، ولكنها عجزت مع ذلك كله عن ان تتجاوب مع الطبيعة البشرية بل ان بعض الباحثين يؤكد أن الشيوعية لم تقم على العلم بل هى تقهر المنهج العلمى فى البحث وتسخره لتبرير احكام مسبقة وجاهزة .

ونحن نعلم أن أول خيط للفكر المادى قد التقطته التلمودية من نظرية داروين وحاولت به أن تجعل الانسان حيوان الأصل وأن تخرجه من فطرته

النتيه وان تدفع المجتمعات الى فكرة التطور المطلق خارج نطاق الثوابت الى نسبية الأخلاق والى متغيرات كثيرة يراد بها تدمير وجوده . ثم جاءت الماركسية لتجعله عبدا للطعام ، وجاءت الفرويدية لتجعله عبدا للجنس ولم يكن هذا كله علما بقدر ما كان فلسفة تعتمد على بريق العلم .

وقد تبين بما لا شك فيه أن العلم لن يستطيع ان يعطى البشرية الا تلك المعطيات المادية التى تعين على سير الحياة . اما القيم العليا فلا يعطيها للناس الا الدين الحق وأن العلماء اليوم وخاصة فى مجال الذرة والفلك والرياضيات ليقررون وجود الله تبارك وتعالى ويؤكدون إن هناك جانبا غيبيا قائم فعلا وراء هذه المظاهر المادية . ولا ينكر الاسلام المادة ولا ينكر العلم ولا ينكر العقل ولكن يرى كل هذه حلقات فى عقد كبير لا يكتمل الا بالروح والنفس والايمان ، وليس من شأن الحواس الخمس القدرة على أن ترى كل شيء وكذلك العقل . ولن يكون العلم ماديا ولا من الصدفة .

كذلك فان الماركسية ليست علما ولن تكون . ولو كانت علما ثابتا ما اختلف الاتباع وما تناقضوا وتقاتلوا . ولما خرج الستالينى واللينينى والماوى والتيتوى ، وراحوا يضربون بعضهم بعضا . وان هذه العلمية المدعاة ليست الا قناعا كاذبا يلبسه الأتباع والمروجون وان حقيقة الشيوعية ليست علما ولا فكرا وانما هى « مؤامرة » طبع وحقد دفين وتاركين للبشرية كلها تبحث عن مبررات معقولة ولغة مقبولة يظهر بها .

وليس أشد اضلالا من كلمة « الاشتراكية العلمية » .

وكلمة العلمية هنا خداع شديد تعنى الواقع المادى وحده ، وليست تعنى العلمية فى المنهج الذى يقوم على استخلاص النتائج من التجربة الحقيقية ، فان المذهب قد تشكل فى ظل صيحات العلم المادى فى القرن التاسع عشر التى كانت تستعلى على مفاهيم المثالية والرحية والعقدية . وتفرض انها قادرة على تفسير الكون والحياة والمجتمعات نفسها . وهى نظرية ثبت فشلها بعد ذلك وسقوطها وقد تبين من بعد تصور العقل تصورا ذاتيا غير مستهد بوقود خارجى ، وقصور العلم عن التعرف الى حقائق الاشياء وثباته على مفهوم التعرف على ظواهر الأشياء ، كما ثبت فساد تطبيق نظرية التجربة فى مجال الدراسات الانسانية وكل ما يتعلق بالمجتمع والنفس والأخلاق والحضارات فهذه لا تخضع للقوانين التجريبية .

والواقع أن هناك خداعا عريضا فى اخلاق وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة هذه التنبؤات والأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التى

تروجها الماركسية وهذا التآمر المبيت لتدمير المجتمعات تحت اسم « الصراع الطبقى » أى الصراع الدموى .

ويقول الدكتور مصطفى محمود : لم يكن كارل ماركس علميا حينما انتقى من التاريخ بضع مراحل ولفق منها مذهبا طبقه اعتسافا على التاريخ كله وكان حاله مثل حال اليهودى الآخر فرويد الذى اخذ من مرض الهستريا بضع حالات ولفق منها مذهبا فى الغريزة الجنسية طبقه اعتسافا على الأصحاء والأسوياء من البشر فجعل من البشر مجموعة من القرود تلهو بأعضائها التناسلية فى جبلاية . كما تصور شقيقه كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقى ، وقد تعمد ماركس اسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخى لأنها ناقضت مذهبه . وبالجملة فنحن أمام تلفيق اطلق عليه أصحابه صفة العلم ووضعوا عليه بطاقة « الاشتراكية العلمية » زورا وبهتانا .

ويقول الأستاذ محمد الغزالى : ان تقدير الشيوعية كحقيقة علمية ، كذب على العلم وعلى الاختصاص فى وقت واحد ، لأن النظريات الاجتماعية بعيدة الصلة عن الحقائق العلمية .

فالحقيقة العلمية حقيقــة تثبت فى معامل الكيماويين . أما النظريات فانها لا تأخذ حكم الحقائق العلمية الثابتة ومن ذلك نظرية فرويد عن الغريزة الجنسية على أساس السلوك ونظرية ماركس ان الملكية سبب بلاء البشرية .

والقول بأن الشيوعية هى المصير العلمى للناس او الحقيقة التى يؤيدها العلم لاسعاد البشرية كان الرد الطبيعى عليه ان هناك شعوبا لا تعرف الشيوعية ولا عاشت فى ظلها وهى تحيا على مستوى من الرفاهية والرضا لا تعرفه البلاد الشيوعية . واذا وزنت الشيوعية بمدى ما افاده الناس منها فانها تخسر لأن الناس ما استفادوا منها فى بلادهم الا المتاعب وفقدان الحرية ونوعا من شظف المعيشة لا يحسدون عليه .

* * *

الفصل الخامس

الماركسية والصهيونية

تكاد الأبحاث الأصيلة المحررة تجمع على حقيقة واحدة : هى ان الماركسية يهودية الأصل كالصهيونية وان الحركة الماركسية والتطبيقات الشيوعية جميعا حملت بصمات اليهودية التلمودية فقد نشأت الحركة الشيوعية فى البلاد العربية خلال الحرب العالمية الثانية فى فترة التعاون بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى . فلم تظهر كحركة وطنية يطاردها الاستعمار البريطانى بل تغاضى الاستعمار عن نشاطهم ، وكان اليهود أصحاب مصلحة مباشرة فى هزيمة النازية وانتصار بريطانيا وكانت النسبة الهائلة من اليهود واضحة فى التنظيمات الماركسية .

وقد حملت الحركة الشيوعية بصمات اليهود حتى انه لما طرح قرار تقسيم فلسطين ايده الاتحاد السوفيتى بطرحه وايدته الأحزاب الشيوعية العربية بما فيها الحزب الشيوعى الفلسطينى .

ولقد بدات الماركسية اولا فى شكل انصار السلام التى تكونت عشية الحرب العالمية الثانية لمنع الحرب عندما كان التحليل السوفيتى يرى انها حرب استعمارية وموجهة ضد الاتحاد السوفيتى اساسا فلما مست نيرانها (الروسية المقدسة) تحولت الى حرب تحرير ودفاع عن الديمقراطية . ولقد كان موقف الماركسيين فى مصر هو موقف المهادنة او الملاينة للاستعمار ، وقد اكتشفت احدى الدراسات اليسارية ان الاشتراكيين الأوائل فى هذه الفترة من الاحتلال حتى الحرب العالمية الأولى كانوا يتخذون موقف المهادنة بل ذهب بعضهم الى حد امتداح دور الاحتلال فى مصر واعتباره تقدميا وقد دعى الأجنبى هذا التشكيل لكى يضرب به القوى الوطنية الحقيقية والقيادات الشرعية التى ترفض الاستعمار الوافد وترفع شعار الشرعية فى وجه الغاصب الذى يسلط عليها اليسار بدعوى مكافحة الرجعية . ودراسة تاريخ هذه المرحلة يؤكد ذلك .

بل ان حقائق التـــاريخ تؤكد ان دعاة التيار الليبرالى ودعاة الدولة العثمانية ونظرية التطور ، أصحاب المقطم والأهرام ودار الهلال وسلامة موسى وشبلى شميل ، كلهم كانوا متعاونين مع الاستعمار بحجة محاربة الرجعية المصرية أو الخديوية ورجال الدين ثم كانوا من بعد انشط رجال الاستعمار والقصر فى حزب الحركة الوطنية . نصل من هذا كله الى حقيقة واحدة هى أن الشيوعية أفرخت فى حجر اليهودية العالمية .

وتقرير فرنك لى بريتون فى كتابه (الصهيونية الشيوعية) أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان يتحكمان بجمهرة اليهود الروس . وقد أعلن الصهيونية زعيمها تيودور هرتزل ودخلت الى روسيا حوالى ١٨٨٠ وكانت منافسة للماركسية وكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد احد الحاخامات .

ويقول بريبتون : أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد وغايتها واحدة وجوهرهما واحد والفئة التى يقوم عليها من وراء الستار واحده ، وما اختلافهما الظاهرى سوى ترتيب موقف اقتصاده تأمين النجاح فى السعى الى الغاية الواحدة . حتى اذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا للسيطرة على العالم . ولا مجال للانتظار . ان العالم اليوم ينقسم الى شطرين وان احدهما يسمى الشرق تسيطر عليه الشيوعية ولكن حصافة الصهيونية حالت دون أن تظهر سيطرة الصهيونية رسميا على ما يسمى الغرب ، ذلك لانها لم تتملك بعد منه كما تملكت الشيوعية فى الشرق فاستعيض عنها بالراسمالية لتسيطر على الشطر الآخر حيال الشيوعية ولا يخفى أن الصهيونية قد ظهرت تحت الاسم (اسرائيل) لها سيطرة بعيدة المدى على دول الغرب جمعاء فترى هذه تساير ارادتها على طول الخط . وكل من الرأسمالية والشيوعية يدعى اعتناق الديمقراطية الحقة وكل واحدة تتهم الاخرى بالتشويش على السلام العالمى وكلتاهما صادقتان ومتفقتان على تشويش الأذهان .

ان اليهودية التلمودية هى نواة الشيوعية والصهيونية اللتين تناهضان المسيحيه . والملايين من اتباع المسيح قد ازعجوا وعذبوا ونفوا وقتلوا منذ خطر الوحش الأحمر على البسيطة عام ١٩١٧ .

ويقول الباحثون : ان تعاليم كارل ماركس وفردريك انجلز ولينين وستالين لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعليمات بروتوكولات حكماء صهيون . بل ان الألفاظ والعبارات والمفـــاهيم التى صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة . ولعل من اعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الاوائل جميعا منحدرين من اصل يهودى ،

فضلا عن التشابه الصارخ بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان الى السيطرة على العالم كله والتشابه فى وسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما واخلاقياتهما والتشابه بينهما فى ميدان التطبيق العلمى تتمسح احدهما بالدين بينما تنكر ثانيتهما الدين ولكنها تخلع على نفسها قداسة أشبه بقداسة الدين .

ويقول الأستاذ ماهر نسيم : تتشابه الفلسفتان (الصهيونية والشيوعية شابها كاملا فى نظريتهما الى الأخلاق . فالاخلاق عندهما ليست ما اصطلح عليه الشرفاء من مفاهيم تمجد المثل الاخلاقية العليا ومبادىء الفضيلة وكرامة الانسان التى تبغى أن تصان . وانما الاخلاق عندهما تتمثل فى شىء واحد هو القوة وتحقيق اهدافهما بشتى الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الأخلاقية ومبادىء الفضيلة . ثم تنادى الفلسفتان (الصهيونية والشيوعية) بأن الغاية تبرر الوسيلة فكل شىء مباح مادام يؤدى الى نصرة الصهيونية او الشيوعة . والتشابه فى نظريتهما الى اساليب الحكم : التوسل بالسلطة الاستبدادية التى لا حد لها والعنف والظلم . وتتشابه الفلسفتان فى نظريتهماالى القانون فالقانون عندهما ليس اداة من ادوات نشر العدالة وانما مجرد تعبير قانونى زائف عن الديكتاورية والطغيان والاستعباد والقمع والارهاب والكبت . ويرى كلاهما أن الراى العام يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك تنادى كلتاهما بجعل الصحافة مجرد اداة من أدوات الخداع والتضليل . والنظرة الى الحرية لا تعنى ما اصطلح عليه الناس وانما تعنى السلطة : السلطة الحاكمة هى وحدها التى يحق لها ان تستمتع بالحرية مع ضرورة احتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق اهداف الصهيونيه أو الشيوعية . وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية ، وتطالب الصهيونية بالقضاء على كل الأديان غير اليهودية وتعمل على نشر الالحاد وكلتاهما تدعو الى الثورة العالمية بغية اخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية .

تجمع الحقائق الاتاريخية على ان الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم ، وأن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من اصل يهودى أؤ لهم زؤجات يهوديات وان اهدلف الماركسية الاشتراكية هى نفس أهداف الصهيونية العالمية ؛ أو ان الشيوعية والصهيونية كلتاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخيره لليهود شعب الله المختار . وكان الملك فيصل غفر الله له هو اول من دوى بالحقيقة التى كانت موجودة فى بطون الكتب ، ولكنها كانت غائبة على كثير من زعماء البلاد العربية حين قال : ان الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق اهدافنا من التقدم والاستقرار . وعندما نقول

الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن الحقيقه أن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسي هو التخريب والتحطيم .

ومن القوانين القوية والادلة القاطعة على صلة الماركسية والشيوعية الوثيقة بالصهيونية العالمية واليهود أن كارل ماركس هو نفسه الحاخام الأكبر واليهودي الذى يمثل فى حياته وفكره كل ما تنطوى عليه النفسية اليهودية من أحقاد وكراهية ورغبة فى الانتقام من البشرية كلها .

وأن الثورة الشيوعية بدمويتها كانت من تصميم وتدبيرهم . وأن ما تحقق فى روسيا كان من تخطيط العقلية اليهودية فى سعيها للسيطرة على العالم . وقد اشترك اعيان اليهود فى تمويل هذه الثورة . وقد تبين أن انصار الشيوعية فى العالم معظمهم من انصار الصيهونية وتبين أن ٩٠ فى المائة من اعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونية وأن مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد قيام ثورة ١٩١٧ كان مكونا من عشرة من الأعضاء من بينهم ستة من اليهود . وأن لينين وستالين من أصل يهودى وكان ستالين متزوجا من يهودية وأن أربعة من اعضاء مجلس السوفيت الاعلى من اليهود وأن شبلوف ومولوتوف كلاهما كان متزوجا من يهودية .

وقد كانت روسيا السوفيتية أولى الدول بعد امريكا التى اعترفت بقيام دولة اسرائيل . ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة واعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم .

ولقد ادى ترابط هذه الحقائق وتكاملها الى أن عبر احد الباحثين عنها بالماركسية اليهودية وقال انه بالمجهودات اليهودية وحدها نجحت الثورة الروسية وانه بهذا الدعم اليهودى المكشوف للحركة الباشفية اتضح أن الماركسية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودى والقيادات اليهودية فكرا وتنظيما . فماركس فيلسوف الشيوعية الاول كان يهوديا . ولينين زعيم الانقلاب الشيوعى فى روسيا ساسم الماركسية اللينينية كان الآخر يهودى الاصل . وغيرهما كثير .

ويكفى كدليل عملى على المشاركة بين الشيوعية واليهودية العالمية فى مخطط واحد وهدف واحد : مشاركة الجميع فى الاتحاد العام للحزب الاشتراكى الديمقراطى اليهودى : حزب البند .

ولا ريب أن هذه العلاقة الوطيدة والعميقة بين الماركسية واليهودية العالمية كانت الدافع الاساسى لاندفاع الشيوعية فى العالم . لان اليهودية

كيان مغلق على نفسه لا يستطيع الانتشار والسيطرة والقيادة الا بمفاهيم الشيوعية والعلمانية والليبرالية والراسمالية (وحرية ومساواة واخـاء) شعار الماسونية والثورة الفرنسية التى حرثت الأرض أمام تحقيق الاهداف الكبرى للتلمودية وكان مقدمة للثورة الروسية ولاسقاط الخلافة الاسلامية .

وهكذا تؤكد الدراسات العلمية والوقائع التاريخية الصلة الواضحة العميقة بين الشيوعية والصهيونية فان مفهومها يستمد من حقـد على البشرية ورغبة فى الانتقام منها . وقد أعلن اليهود أن الثورة الشيوعية كانت من تصميمهم وان ما تحقق فى روسيا كان بفضل الفكر اليهودى ذى التموجات الراسمالية والاشتراكية ، ويستهدف تعاون اليهودية والشيوعية فى الوصول الى السيطرة على العالم وتسخير ألمواد العالمية وفق أهوئهم .

ولقد تبنت ابعاد المخططات العالمية فى هذا الارتباط بين الماركسية والصهيونية فى احضان اليهودية العالمية ما اثبته الاستاذ محمد عبد الله عنان الذى كتب قبل خمسين عاما (عام ١٩٢٦) يكشف عن أن هذا المخطط كشفت مما يسمى (الثورة العالمية) فأشار الى ان قوى كثيرة تهدد كل المجتمعات والنظم الحاضرة بالفناء تتجمع فى الدعوة الى الثورة العالمية فالبلشفية والدولية الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . ويربط عنان هذا المخطط بالثورة الفرنسية . (التى هى وثبة من اعظم وثبات الهدم فى العصر الجديد) ترجع الى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات اكثر مما ترجع الى الأسباب والحوادث المادية التى ينسب انفجارها الى عادة . وقال ان اليعقوبيين اعظم دعاة الهدم فى الثورة الفرنسية كانوا ينتمون الى جمعيات سرية كانت تعمل فى الخفاء لسحق الملكية الفرنسية . هذه الروح الهدامة تجلت فى الثورة الروسية ، فقد شادوا مجتمعا غريبا فى تفكيره أباحيا فى اعتباراته وتقديراته ، هذا المجتمع الذى يبرز اليوم رافعا لواء الثورة العالمية . ويتساءل : هل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ، ذلك أن عبارة الثورة العالمية تجرى على السنة اقطـاب موسكو وزعماء البلشفية . وان ما يقوله رئيس الدولية وغيره من زعماء البلشفية لا تعنى ان الجمعية السرية التى تقبض الآن على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى اليها من وراء استار وتسير فى جهودها الهادفة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذى يغذى بجهود البلشفية وما هى غايته الاخيرة التى تدفع لحركات الثورة المختلفة الى غايتها ؟ أن البناء الحر والجامعة الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لامرية فى وجودها تؤثر فى شؤون العالم أيما تأثير وفى وسعنا أن نعين منها اسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحى والارشـاد . ومما يلفت النظـر أن تختلف

الدعوات الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية (ماركس وبوكونين وبرودون) وهى جميعها تتفق فى برامج الانشاء السياسى تتفق جميعها فى غايات التقويض والهـــدم .

ان ثورة الكتلة العاملة وتحريرها من نير البرجوازى وتحطيم النظم الرأسمالية واضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار لغاية واحدة : هى غاية هدم شاملة لتحطيم المجتمع الراسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من اديان وتعاليم وتقاليد . و « هدم المدنية » : غاية عملت لها جميع القوى الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة فى تنظيم القوى التى تعمل لتحقيقها واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كلها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلاء ووضوح ، ذلك لان عقلية المجتمع الحاضر قد تأثرت بمؤثرات جديدة عميقة ، وقد بعثت البأساء الطاحنة فى بنيانه روحا من اليأس والنقمة ، هذه الروح هى التى يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التى مهدت السبيل فى روسيا العنصرية لظهور البلشفية .

ويقولون : « ان الثورة العالمية والخطر اليهودى اسمان لمسمى واحدة : وان دعاة الثورة العالمية هما دعاة السيادة اليهودية ، وان الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تحكم وراء الثورة العالمية ، اما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة ويقصد بالأخص الى هدم التعاليم الدينية والاخلاق نصرانية كانت أو اسلامية فان هذا أمر لا ريب فيه . ولكن ليس ثم ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما اليها من دعوات الهدم ، وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية ، والظاهر ان اليهودية ما هى الا احدى القوى التى تعمل للهدم الى جانب الحركات الاخرى ، وانها تدين بنفس التعاليم الحرة الهادمة وان هذه القوى ترعى جميعا مثلا واحدة هى الجامعة بينها وهى التى توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها ، واذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر أو المصادر الخفية التى تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والارشاد وتمدها بالدعاة والاموال فقد لا نذهب بعيدا اذا قلنا ان البلشفية هى أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية ، وانها هى التى تبرز الى الطليعة بالقول والفل وانها واسطة الوحى فى تغذية العنـــاصر الاخرى التى تحرص جميعها على تحقيق غاية موحدة شاملة هى هدم المجتمع الحاضر من الاساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادىء الشيوعية والاباحية وتحقيق أعظم ما يستطاع من مثل ماركس ولينين .

وبعد .. فيمكن أن يقال أن ما كتبه عبد الله عنان هو الخيط الأول

لكشف هذه المخططات بعد كان قريبا من مصادر العلم بهذه الامور اذ كان سلامة موسى وحسنى العرابى بعد الحرب العالمية الأولى هما اول من تحدث فى مصر عن الاشتراكية والفكر الماركسى وكانا قد اتصلا باليهود الذين كانوا يديرون هذه المنظمات وفى مقدمتهم هنرى كوريل غير ان هذه المفاهيم التى قدمها لم تلبث ان تكشفت عن ابعاد جديدة وأعماق عريضة عندما اكتشفت بروتوكولات صهيون وغيرها ، وقد كان لينين احد المخططين وواضعى البروتوكولات فى مؤتمر حكماء صهيون ١٩٠٢ حيث قال المؤتمر : ان اخر حصن للعالم وآخر ملجأ من العاصفة هو روسيا فايمانها ما يزال حيا وامبراطورها المسيحى مايزال قائما كحاميها المؤكد » وكان الهدف هو التخلص من هذا الامبراطور وتدمير ذلك الحصن تأكيدا لما قرره المحفل الماسونى الأمريكى فى نهاية القرن التاسع عشر وهو الذى يدير الماسونية الكونية وكل اعضائه من كبار اليهود ، ومن ثم تم الاتفاق على انفاق مليار دولار فىسبيل قيام ثورة فى روسيا تطيح بالامبراطور وتهيىء الدولة للشيوعية غير عابئين بتضحية اعداد ضخمة من يهود روسيا . وكان ذلك ايمانا بأن الشيوعية هى جناح ايديولوجى للصهيونية العالمية وان الثورة البلشفية فى حقيقتها هى ثورة لليهود ضد القيصرية وضد المسيحية وانتقاما من عمليات الاضطهاد التى قامت بها روسيا بعد ان قتل اليهود اسكندر الثانى .

يقول على منير مراد : وما ان نجح المخطط الصهيونى بقيام الثورة الشيوعية حتى كان اليهود هم القائمين بالاغتيالات السياسية ، تماما كما حدث فى الثورة الفرنسية التى كسرت أمام اليهود باب الجيتو المغلق وافسحت لهم الاشتراك ثم السيطرة على الحياة السياسية الغربية . وهناك حقيقة واضحة ان مؤسسى الدولة الشيوعية فى روسيا ليسوا من طبقة البروليتاريا التى ضلت ولكنهم من طبقة اليهود المثقفين وكان أول رئيس للدولة فى روسيا هو اليهودى كلمنيف وتلاه سفردلون وبينهما زيتوفيف وكلهم يهود ومن زعمائهم تروتسكى اليهودى المتعصب . وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة سة قومسيرا يهوديا ليبطش بأى معارضة للماركسية وادعوا ان الشيوعيين هم الشعب المختار وانهم سادة العالم ، وبذلك خلقت الماركسية التميز على اشده بين الحاكمين والمحكومين فهناك طبقة قياصرة الكرملين يعيشون عيشة الملوك وطبقة اعضاء الحزب المميزون فى جميع انحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات و لامساواة بل معتقلات تضم الآلاف في سيبريا . وكل ما حصل عليه افراد الشعب أنهم اصبحوا تروسا فى آلة الانتاج العام فلا كيان للفرد وانما عليه ان يكذب ويغش ويتجسس لمصالح الحزب ومن أجل الشيوعية .

ولقد كانت روسيا ثانى الدول اعترافا باسرائيل بعد الولايات المتحدة

كما كان للأسلحة التى ارسلت اليها من تشيكوسلوفاكيا والدول الشيوعية فى اوربا اكبر الاثر فى صمود القوات الاسرائيلية فى وجه الدول العربية التى كانت تسعى لشراء الاسلحة من مخلفات الحرب لعالمية الثانية بعد أن امتنعت دول الغرب عن بيع السلاح . وفى أواخر عهد ستالين قامت بعض التحركات المضادة لليهود ولكن ما أن انتهى عهد ستالين بوفاته حتى ازيلت تماثيله واخفيت آثاره بل واخرجت جثته من مقبرة العظماء . ولم يكن ذلك مصادفة وانما يرتبط بنفوذ اليهود وتغلغلهم فى الدول الشيوعية .

* * *

ويتساءل الدكتور عبد الحليم محمود (الامام الأكبر وشيخ الأزهر) هل للشيوعية صلة بالصهيونية وهل الشيوعية وليدة الصهيونية ويقدم مجموعة من الحقائق دون تدخل فيها . منها ما سجلته دوائر القضاء المصرى . فقد ضبطت فى بعض قضايا الشيوعية فى مصر أوراقا وتقارير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج حيث عثر فى ٣ / ١١ / ١٩٥٣) بمسكن بعض المتهمين بالشيوعية على تقارير متعددة وصلت اليه من هنرى كوريل الاسرائيلى تحوى تعليمات للشيوعيين فى مصر ، كما عثر مع (ناعومى كاتيل) الاسرائيلية التى قبض عليها فى اليوم نفسه على تقارير شيوعية واردة لها من الخارج والبعض من اسرائيل . وقد ضبطت السلطات الايطالية بميلانو فى أواخر سنة ١٩٥٠ خلية شيوعية يكونها بعض الاسرائيلين الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها واقاموا هناك وثبت من الأوراق المضبوطة انهم يديرون بعض المنظمات الشيوعية فى مصر وانهم على صلة بالهيئات الشيوعية فى كل من ايطاليا وفرنسا . كما تبين ان لهم زملاء من الاسرائيليين يقيمون فى فرنسا ويعملون لتصيد الشبان المصريين الذين يسافرون اليها لطلب العلم ، وقد اعترف احد الاشخاص الذين قبض عليهم فى احدى القضايا الشيوعية بمصر انه أقام بأوربا نحو ستة أشهر متنقلا بين النمسا وايطاليا وفرنسا على نفقة الشيوعيين هناك وبتوصية من الاسرائيلى « هنرى كوربيل » وتصدر المنظمات فى مصر نشرات تتضمن مهاجمة نظام الحكم والقائمين على راس الحكومة وهدفها تعبئة الشعور العام ضد الحكومة والعمل على قلب نظام الحكم واقامة حكومية شيوعية تخضع لتوجيهات موسكو والصهيونية — وقد ورد هذا النص فى كتاب « حقيقة الشيوعية » وهذا يعنى أن اليهود هم الذين عملوا جاهدين فى نشر الشيوعية فى مصر لا غرابة فيه وهو تأييد لما يوقن به كثير من المفكرين .

اما بالنسبة لمواثيق الصهيونية فان كتاب بروتوكولات حكماء صهيون يعلن فى صراحة :

« نحن الصهيونيين الذين رتبنا نجاح كارل ماركس » ان كارل ماركس يهودى اما وابا من اسرة يهودية عريقة فى اليهودية ولقد تزعم هذا اليهودى فريقا من يهود المانيا عرفوا بالشيوعيين وبدات بهم الشيوعية .

وقد نتساءل : لماذا رتب اليهود نجاحه ؟

انهم اقاموه أولا . ثم رتبوا نجاحه بالدعاية وبالكتب وبالصحف وبكل وسائل الدعاية والنشر : لماذا . إن الصهيونيين لهم منهجهم بالنسبة للآخرين أى بالنسبة لمن يسمونهم « الأميين » وهم كل من عدا اليهود ومنهجهم متعدد الزوايا . ومن كبريات هذه الزوايا افسادهم بكل وسيلة ممكنة المجتمعات ان اليهود يهدفون — من بين أهدافهم — الى افساد الدين على المتدينين مسلمين ومسيحيين ومن وراء افساد الدين افساد الأخلاق لانه لا اخلاق بغير دين فاذ فسدت الاخلاق ودب التحلل فى الأمم وزالت مناعتها فانه يسهل السيطرة عليها . ومن هنا ولدت الشيوعية ، وذلك ان الشيوعية تفسد الدين على أصحاب الديانات وتفسد الأخلاق اينما حلت وتهدم النظام الدينى الاقتصادى راسا على عقب ، وأن كل من يدين بها ويعتقد أنها حق فإن ايمانه بها يتضمن لامناص ايمانه بأن أوضاع دينه ليست صحيحة . انه شعر أو لم يشعر ينكر دينه وينكر أخلاقه وينكر ما شرعه الدين من نظام للمجتمع . ولذلك رتب الصهيونيون نجاح كارل ماركس . لقد صنعوه كما تصنع المزيفات وساندوه كما هو الشأن فى ضرورة مســـاندة المزيفات . والمزيفات لا بقاء لها ، ولذلك ستزول الشيوعية الحديثة كما زالت شيوعية (مزدك) وكما زال كل مذهب منحرف .

ويشير الامام الى ما ذكره روبرت وليامز صاحب كتاب (اليهودى فى امريكا) فانه ينتهى من بحثه التعيس بقوله : ان الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية بل هى أمها .

ويسمى فرانك كريتون الصهيونية والشيوعية فئتى اليهود ، ويقول : ليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحـدة هى القومية اليهودية .

* * *

الباب الثالث

فشل التجربة الماركسية اللينينية

١ — التجربة الماركسية اللينينية .

٢ — محاولات الماركسية فى أفق العالم الاسلامى .

٣ — شيخوخة الفكر الماركسى .

٤ — اليقظة الاسلامية تكشف الزيف .

٥ — نظام الاسلام فى مواجهة الشيوعية .



الفصل الأول

التجربة الماركسية اللينينية

اعد ماركس « الأيديولوجية » والمنهج بالاشتراك مع انجلز . وكتب « البيان الشيوعى » المعروف قبل أن يكتب (راس المال) فقد كان هذا البيان بصدوره عام ١٨٤٨ علامة على هذه الخطة التلمودية الصهيونية التى كانت نقطة انطلاق فى طريق تمزيق وحدة الفكر الغربى المسيحى ووضع فلسفة التغيير الاقتصادى للتاريخ والاشتراكية العلمية وتنطلق بهما صيحة الصراع الطبقى وتحريض العمال على الثورة فى وجه اصحاب الاعمال . والمعروف أن الجزء الأول من كتاب راس المال جاء عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاما من البيان الشيوعى الذى ابرز فكرة الصراع الطبقى والثورة على الرأسمالية وقد عرف بأن النظرية كانت محاولة للجمع بين خيوط من الفلسفات الألمانية والانجليزية والفرنسية وان الأساس الذى اعتمد عليه ماركس قد التمسه من فرضيات العلوم التجريبية فى ذاك الوقت والتى لم تكن وصلت الى درجة الحقائق العلمية وكان واضحا ان الشيوعية هى الهــدف وأن التلمودية الصهيونية هى الطريق . ولقد نمت فى الامبراطورية الروسية التجارب التى كانت اعدادا للثورة البلشفية لتى قادها لينين ، والتى اطلقت على منهجها « الماركسية اللينينية » وذلك بعد الاستيلاء على السلطة بعد وفاة ماركس بأكثر من ثلاثين عاما . وهى التجربة التى اختلفت أشد الاختلاف بالتطبيق مع النظرية الماركسية واحتاجت الى تعديلات كثيرة فضلا عن أن كتابات لينين قد اختلف فيها اتباع تروتسكى واتباع ستالين واتباع ماوتسى تونج .

والحقيقة المعروفة ان الطبقة الشعبية قامت باشعال نار الثورة ضد الحكم القيصرى والقضاء عليه بتحريض من الشيوعيين اتباع لينين وتروتسكى فلما تم لرؤساء الحزب الشيوعى ما ارادوا من سقوط عرش آل رومانوف قبض رؤساء الحزب على زمام الحكم وازاحوا العمال والفلاحين ليقاسموا تحت سخط الحزب الشيوعى أشد الوان المهانة والارهاق . وقام العمال والفلاحون بعدة ثورات كانت تقمع بشدة ، وحاول ستالين أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بالوان شتى من القتل والحبس والنفى فى مجاهل

سيبريا ، وخلصت الدولة لتلك الطبقة الدخيلة التى لم تكن من صفوف العمال أو الفلاحين فى الأصل .

وقد ذكر دوته فى كتابه (موسكو بلا نقاب) : ان الذين يحكمون روسيا ليسو الروس ولكنهم حفنة من اليهود الارهابيين العالميين . وهم الذين أعلنوا منذ اليوم الأول بأنهم يرون فى الاديان خطرا على الحضارة الانسانية (كما قال لينين ، ونحن ملحدون وان الايمان بالدين يعرقل تقدمنا (ستالين) وان اليهود هم الذين قاموا بالاغتيالات السياسية ابان الثورة الشيوعية وان مؤسسى الشيوعية ليسوا من طبقة البروليتاريا التى ضلت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين . وقد اعلن الشيوعيون ان على المناضل الشيوعى أن يتمرس بشىء من ضروب الخداع والغش والتضليل . وان الكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة لتحقيق الشيوعيه .

وقد سادت الشيوعية فى روسيا منذ عام ١٩١٧ الى اليوم (١٩٨١) خلال ستين عاما فهل نجحت قط فى القضاء على الفقر ، أن الفقر مازال متفشيا فى روسيا وقد سبقها كثير من الدول الراسمالية كالولايات المتحدة والمانيا وانجلترا فى القضاء على الفقر وبعث حركة الانتعاش الاقتصادى بين العمال وبين الجماهير .

ولقد كان من أخطر خطوات التجربة الشيوعية أرتباطها بالصهيونية العالمية منذ اجتمع لينين فى بال بسويسرا عام ١٩٠٢ باسم الحزب الشيوعى بحكماء صهيون وحضر معهم المؤتمر الصهيونى وكان من المخططين وواضعى البروتوكولات .

وكما قلنا فانه فى أعقاب نجاح الثورة الروسية كان اليهود قد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة ومؤسسة قومسيرا يهوديا ليبطش بأى معارضة للماركسية ومنذ ذلك التاريخ انقسم ألشعب الى طبقتين متميزتين : الأولى طبقة قياصرة الكرملين وأعضاء الحزب الذين ينهبون اقوات الشعب الروسى ويعيشون عيشة القياصرة ، وطبقة الشعب ألروسى الذى يعيش فى فقر وجوع وحرمان وخوف .

وقد اغلق الشيوعيون على انفسهم واقاموا الستار الحديدى سنوات بعد سنوات وقاموا بتصفيات بعد تصفيات دون أن تستطيع التجربة كما ادعت وبعد أكثر من خمسين عاما أن تظفر بتحقيق واحد من اهدافها أو تنبؤاتها كما أنها لم تستطع ان تقضى على الاحتكار والاستغلال . ولم تستطع أن تقيم مجتمع الكفاية وعجزت عن أن تفهم قانون الوفرة الذى اثبت ان فى

الأرض ثروات تكفى البشرية ولو تضاعفت عشرات المرات ولم تزد التجربة الشيوعية عن ان افقرت الاغنياء ولم تغن الفقراء ، وما زادت عن ان أوغرت الصدور بالأحقاد وأوقعت بين الطبقات فى صراع عنيف بينما يقيم الاسلام روح الوئام والمحبة بين الناس .

نعم عجزت الشيوعية أن تنجز ما وعدت بين الطبقات العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية وحشدتها للعمل وسخرتها للانتاج باعتبارها تروسا فى آلة أو مسامير فى تابوت . ووجدت الطبقات العاملة من المعطيات فى المحيط غير الشيوعى أكثر مما وجدت فى البلاد الشيوعية .

وثبت كذب الادعاء بأن مذهب الشيوعية هو الفردوس الموعدد للطبقات العاملة فى العالم فقد تبين ان الشيوعية انما تريد أن تجعل من البشرية قطعانا سيرها سوط الراعى وان تمحو الشخصية الانسانية وتذيبها فى الدولة وتسلب الفرد حريته وتصب الآدميين فى قوالب . ولم تجد الطبقات العاملة فى البلاد الشيوعية غير الذل والهوان والتجويع وسلب الحريه .

ثم رأت ان تتراجع فحاولت أن تتنازل عن مسألة الامتلاك الفردى واذعنت للطبيعة الانسانية بتشجيع الحافز المادى وسمحت بتحقيق بعض الرغبات الخاصة التى كانت ممنوعة من قبل ولكنها لم تستطع أن تبلغ اشواق النفس البشرية .

وقد تبين هزيمة التجربة فى حربها للحرية الشخصية وحرية الاسرة ، كما انهزمت التجربة فى الركيزة الاساسية للمذهب التى جعلت الملكية الخاصة ينبوعا لجميع الشرور وقد ضاقت بالمجتمع الشيوعى عواقب الحرمان من هذه القوى الحية : قوة الكرامة والانسانية فى شخصية الفرد وقوة العاطفة المتأصلة فى كيان الاسرة والايمان .

وثبت أن « المجتمع الشيوعى » فرض خيالى قوامه دعوى المدعين أنه سيأتى يوما مجتمع بغير طبقات ، أما المجتمع الاسلامى فهو حقيقة قائمة تزداد كل يوم قوة . وسقطت بذلك دعوى الشيوعية بوصفها دين المستقبل نعيشها يوما بعد يوم . وتحللت الشيوعية من كثير من نظمها ومبادئها وخرجت أو جنة المستقبل . فقد كذبتها حقائق التاريخ ووقائعه الحية التى ما تزال عليها لانها وجدت انها لا تقبل التطبيق .

بل ان عددا من المفكرين الذين خدعوا بالبريق عن المذهب والتجربة عادوا فوجدوا ان كل ما هنالك سراب وقبض الريح ومن هؤلاء ريتشارد

رايت ولويس فتشروارثر كوستلر : هؤلاء الكتاب الذين خدعوا ثم عادوا الى رشدهم بعد ان عرفوا الحقائق وليس اقوى من تجربة (اندريه جيد) الذى أعلن فى الثلاثينات بعظمة التجربة الشيوعية فلما سافر الى هناك وشاهد المجتمع فى واقعه لم يلبث أن كشف الحقيقة كاملة .

قال جيد : لا يمكن ان تنحدر الاخلاق الى الدرك الاسفل الذى تنحدر اليه الشيوعية ، ولا يمكن ان تصل الدناءة والخسة بالانسانية الى الحد الذى تصل اليه الشيوعية ، وانى احذر كل الناس ان ينخدعوا بالشيوعية وليدركوا بها أسوأ ما عرف تاريخ الانسانية من مذاهب الهدم والتخريب .

وحذر الكاتب الفرنسى أندريه جيد بعد أن عاد من البلاد الشيوعية الطبقات العاملة فى كل اقطار الارض من أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية التى قضت على انسان الطبقة العاملة فى بلادها وسلبتها كل حقوقها ، وقال : لقد تبين لى أن ما أدعته الشيوعية من انها منحت العالم حق السيادة ما هو الا زيف وضلال . كذلك ظهر لى زيف دعوى المساواة فما تزال الطبقة العالية المسيطرة التى تعيش فى الاعلى تمتلك كل شيء وتتحكم فى كل شيء وما تزال حريصة على بقاء المسخرين .

اما حرية الفكر فهى معدومة وليس هناك من يستطيع أن يخرج على الحدود المرسومة الملقنة التى لا دخل للعقل فى التفكير فيها والتى هى عبارة عن نصوص مقدسة . وقد اشار كثيرون الى فساد التجربة فى مجملها وتفاصيلها واشار احدهم الى ما يوجد هناك من تمزق ستار الحياء وتحول الناس الى نظام القطيع ومن ذلك فى دورات المياه مثلا حيث تجد صـــالة واسعة جلس فيها اكثر من أربعين فردا لقضاء حاجاتهم دون سأتر بينهم ؛ وفى المجتمعات يتناول الفتية والفتيات الشراب ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل ويقترفون بعد ذلك الرذيلة مما يقضى على دعائم الاسرة وهناك ايضا يجهر اليهود بيهوديتهم بينما لا يجهر المسيحيون بمسيحيتهم . وهذا ما يؤكد العلاقة القائمة بين الاحزاب الشيوعية فى العالم وبين الصهيونية .

* * *

لقد افاض الباحثون فى دراسة نتائج تجربة التطبيق الماركسى ممثلا فى الدولة الشيوعية الروسية فأشار الى أن حصيلة نصف قرن مات بسببه مئات الألوف نفيا وتشريدا وسجنا قد أسفر عن عدم تطبيق النظــريات الاشتراكية كما أعدها كارل ماركس ولينين وانجلز لاستحالة تجاوبها مع النفس البشرية فهى نظريات علمية بحتة ، وقد ادى ذلك الى فقدان القاعدة الشعبية لهذا النظام وخاصة من العمال والفلاحين ، والاقتصار على عدد من أفراد الحزب ، كما تبين تزايد الهرب من الجحيم الى الدول المجاورة ، وظهر عدم امكان الانفراد السياسى والاقتصادى عن النظم فكان طلب العون من الدول الاخرى لامكان استمرار قيام الدولة . فضــلا عن التأخر الزراعى والصناعى والكيميائى والتدهور الاقتصادى . وكذلك فقد تبين عدم امكان وجود الانسان العقائدى فى الدول الاشتراكية نفسها لاختلاف التعبير والتطبيق للنظريات مما حمل تلك النظم على الاعتماد كليا على القوات المسلحة ورجال الميلشيا واتباع العنف الثورى لتثبيت الحكام ودعم الحكم . وكل ذلك كان من شأنه ان ابعد الطمأنينة والسلام وهدد التقدم والمدنية وحال دون وحدة الشعب . وهكذا اثبت النظام الشيوعى الماركسى فشله على مدى نصف قرن من العمل الدموى ، ونجد اليوم أن الماركسيين قد اهملوا اغلب النظريات الماركسية الاساسية وفى مقدمتها نظرية القيمة الملازمة مع العمل .

ولم تتحقق تلك النبوءات التى قالت بتناقض عدد الراسماليين تدريجيا ، وتصاعد الطبقة البروليتارية وطلوع اليوم الذى يتكتل فيه العمال كتلة واحدة وكان ماركس وانجلز يتوقعان اشتعال ثورة أشتراكية فى أوربا كلما توفرت أسباب انهيار اقتصادى فى بلد ما لان الانهيار الاقتصادى هو خير الظروف لاشعال الثورة الاشتراكية فلم يحدث ذلك ولا مرة واحدة .

ولم تجد الشيوعية طريقا لها الا بالقتل والدم والتآمر والتدبير فى الخفاء ، حتى ولو توفر لها الجو الحر ؛ فهى تلجأ الى الغوغاء وتضطهد المثقفين وأصحاب المبادىء . ولم يتحقق لهم ما ارادوا فقد أعلنوا ان الثورة الروسية هى فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية فلم تلبث الشيوعية ان تراجعت وانحسرت . وفى البلاد التى سيطرت فيها الشيوعية كالصين وقع الانشقاق بينها وبين السوفيت وبات ذلك ظاهرة من أخطر ظاهرات العصر .

وفى أوربا وقع الانشقاق حين أعلنت يوغسلافيا ١٩٤٨ انفصالها عن الأممية الشيوعية فى روسيا . واليوم تتجه الأحزاب الشيوعية فى أوربا الى الانفصال عن الكرملين ، بل ان الاحزاب الشيوعية فى مؤتمر جنيف ١٩٧٦ أعلنت انفصالها عن ركائز الماركسية الاصلية : تنـازلت عن ديكتاتورية البرولبتاريا ، وتنازلت عن الاممية وسمحت بالقوميات وتنازلت عن عدائها للدين .

... كشف كثير من الباحثين : أن التجربة الشيوعية فكرا وواقعا فى العقود الأخيرة أصبحت تعانى على الصعيد الفكرى أزمة التحجر والجمود والوقوف عند وقائع معينة . كما تكشف ان كلمات الفكر التقدمى واليسار والثورة هى فى الحقيقة تعنى الدكتاتورية والارهاب وكبت الحريات ، وان النظرية الماركسية تعيش الآن فى مهاب الرياح وان العالم يتجاوزها كأى فكر بشرى يصعد الى قمة مجده ثم يأتى العلم والتطور ويتجاوزه ، وخاصة بعد أن أثبتت العلوم الطبيعية تناقضا حول المادة وسقوطها واتساع الهوة بين الفكر الشيوعى والعلم .

ويقول جارودى فيلسوف الماركسية : ان الواقع العملى خطأ الفكر النظرى فى نقاط عديدة وليست دوما ثانوية ، ولا يمكن ان يأتى الواقع العملى مصداقا لما جاء فى الفكر النظرى وأن التناقض قد زاد بين الواقع والفكر وحدث تباعد بين العمل والنظر وتحولت الماركسية من نظرية الممارسة الانسانية الى لاهوت عاجز ، ومن حافز للبحث والعمل الى عائق يشـل البحث ويخرب العمل .

وتشير كثير من كتابات الماركسية الى هذا المعنى الخطير ويقول ان تطور الماركسية تفرضه أخطاؤها وتعانقها وتعترف هذه الكتابات بقصور الماركسية الجوهرى فى مجالات العمل والنظر ويتساءلون هل يمكن ان يقال ان الماركسـية علم ، أو ما يسـمونه اياها علم الثـورة الاجتمـاعية . ويقولون : ان ماركس وانجلز أقاما النظرية على مفاهيم تجاوزها البحث الآن سواء فى العلوم التجريبية او علم النفس والتاريخ والاقتصاد والاجتماع والرياضيات وأنها كانت نظرية جاهزة تبعا لظروف واوضاع غرب أوربا وانجلترا بالذات ثم جاء لينين ليعدل ويغير ، ويقول هؤلاء الكتاب : انهم يريدون أن يجعلوا من ماركس ولينين وانجلز آلهة ، فاذا صيروهم آلهة فقد أفقدوهم صبغتهم وهويتهم كعلماء وفلاسفة .

ويتساءل المرتقبون للتجربة (١٩١٧ — ١٩٧٧) ماذا حققت فى خلق مجتمع جديد لحكم ديكتاتورى أستبدادى قام على خنق العاطفة وانكارها . القضاء على الأغنياء دون اسعاد الفقراء ، وانما لخدمة طبقة جديدة . حيث تسخر الطبقة العاملة لطبقة جديدة حاكمة ، القضاء المطلق على الحرية الشخصية وحرية الكتابة والرأى والخطابة . الاضطراب والتغيير المستمر مما يدل على عدم الاستقرار فى كيان النظام نفسه ، مخالفة السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية والنفسية للأمم ، افتقاد الحرية ، اتجاه الفكر كله نحو تأكيد النظرية الشيوعية ، لا مجال للنقد . ليس هناك أدب حر . التاريخ والعلوم الطبيعية والأبحاث والمسرح والسينما موجهة توجيها شيوعيا . وهى وقف على اغراض الشيوعية ، وقد حور التاريخ ونقح ليتمشى مع اغراض النظرية .

وقد اثبت التطبيق العلمى من خلال التجربة الشيوعية فى روسيا عدم امكان التقيد بكل ما جاء فى النظرية الماركسية . وقد تمت فعلا تعديلات كثيرة وكبيرة فى النظرية .

واليوم يظهر على السطح تقارب بين الراسمالية والشيوعية : فقد تطورت افكار الراسمالية واقتبست معظم الافكار الاشتراكية وتطورت أفكار الشيوعية فأخذت تلتقى مع الراسمالية وهناك من الفلاسفة من يقيم الجسور والقناطر بينهما : كذلك فقد اعلن ان الكاثوليكية تجرى حوارا مع الماركسية ومن حيث ان الكاثوليكية لا تملك تشريعا اجتماعيا مفصلا فى أمور الحكم والاقتصاد والاجتماع الا ما يتصل بالتوجيه الروحى العام فقد اجرت حوارا مع الشيوعية .

ويتنازع النظامان الرأسمالى والماركسى السيطرة على العالم ويتصارعان فى أفق عالم الاسلام ولكن أحدا منهما لم يتلق القبول فى محيط المسلمين لانه لا يستطيع ان يحقق الكفاية والأمن .

ولما كانت الراسمالية والماركسية كلتاهما من منبع واحد بشهادة اصحابها . يقول احد كتاب الغرب : أن اسم تروتسكى يعنى أقصى اليسار واسم روتشيلد يعنى الراسمالية المتطرفة وكلاهما يمثل تموجات العقلية اليهودية . وبين هذين المعلمين : مجتمعا وحضارة فى القرن العشرين . فالتيار الرأسمالى والتيار الماركسى ابوهما معا التيار الصهيونى ، اما التيار الرابع رغم تمزق رقعته ورغم ضعف موقفه فهو التيار الاصيل ؛ ذلك ان الماركسية

لم تفلح فى خلال نصف قرن من التطبيق أن تحقق هدفا واحدا من أهدافها بل كانت فى كل مرحلة تصدر تنازلات عن آرائها السياسية وتتبل الواقع ، ولم يتحقق لشعوب المجتمعات الشيوعية الكفاية بين أفرادها ولا تزال تواجه الأزمات .

وليس الاسلام كالمسيحية ؛ فالاسلام نظام كامل يتصل بالروح ويشرع لعالم المادة ومن ثم فلا يمكن أن يقع حوار بين الاسلام وهذه المذاهب . ذلك ان المسلمين يملكون منهجا كاملا جامعا قادرا على مواجهة مختلف التحولات والتغييرات . ولا كذلك أصحاب الأيديولوجيات .

* * *

ويرسم العالم الروسى أندريه سخاروف ابو القنبلة الهيدروجينية فى كتابه (بلادى والعالم) صورة قاتمة لروسيا الشيوعية فيتحدث عن مستوى الاجور المنخفض فى روسيا ، وكيف ينفق الروس الجزء الاكبر من اجورهم على الطعام فى حين ان العامل فى الغرب ينفق ربع دخله على الطعام والباقى على رفاهيته ومدخـراته ، هذا مع رداءه الخبز ورداءه الاطعمة والتعليم والاضاءة فضلا عن القيود المفروضة على التنقل داخل البلاد . واشـار سخاروف الى « الادمان المأسوى » للخمور عند الغالبية العظمى من السكان بما فيهم النساء والشباب ، وان أستهلاك الفرد من الكحول اليوم فى الاتحاد السوفيتى ثلاثة اضعاف ما كان فى روسيا القيصرية ، وادمان الخمور فى رايه يجعل الناس أسهل انقيادا ، ونتيجة لذلك يتساقط عشرة آلاف سكير كل عام ويتجمدون حتى الموت .

ويتحدث سخاروف عن السياسة العليا للاتحاد السوفيتى فيقول انه بالرغم من الموارد الضخمة التى يمتلكها وبعد سبعين عاما من الجهود الهائلة منها ثلاثون عاما من السلام المستقر لا تستطيع ان تصل الى مستوى المعيشة فى الدول المتقدمة . وسر هذا يرجع الى الانفاق العسكرى الهائل وتحويل التحركات السوفيتية السرية والعلنية فى جميع انحـاد العالم من الشرق الأوسط الى امريكا اللاتينية (١) .

وتوفير مستويات المعيشة العالية لطبقة المتميزة فى المجمع السوفيتى وتغطية تكاليف الاخطاء الباهظة التى تنتج من طراز الادارة المتخلف الذى يدير الاقتصاد السوفيتى .

ويقول سخاروف : ان المواطنين السوفيت يخضعون لنوع من التدريب يشبه تدريب الخيول ، ولذلك فهم يستسلمون خوفا على حياتهم . انهم

(١) جريدة الأخبار ١٩٧٨/٢/١١ يوجد نصف مليون جاسوس سوفيتى تنفق عشرة آلاف مليون دولار خمسة أمثال من يعملون فى مخابرات أمريكا وجميع دول اوربا الغربية مجتمعين .

شعب اسير الخوف من السادة الذين تنهب سيارتهم الفارهة المدرعة الشوارع التى اغلقت من اجلهم .

ويقول : يخضع الفنانون والكتاب والممثلون والمدرسون وكل المثقفين لضغط ايديولوجى مخيف والى الحد الذى لا يسمع المرء الا أن يزداد معه عجبا . وتحدث عن تأثير العوامل المعادية للفكر على العلوم ، ذلك ان جميع الاتجاهات العلمية والاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة قد نمت خارج الاتحاد السوفيتى ، فى حين ظهرت على سطح الحياة هناك : الديماجوجية والجهل والدجل والشعوذة .

ويقول : ان هناك بين ٢٠٠٠ و ١٠ آلاف مسجون سياسى ، غير من يضطهدون من اجل معتقداتهم الدينية ويؤدى المسجونون السياسيون أعمال السخرة وحكامهم وقد ذهب ضحية هذه السجون والمعتقلات الرهيبة أكثر من ٢٠ مليون شخص منذ قيام الثورة .

ويقول : ان الاضطهاد الدينى تتزايد مخيف فى الاتحاد السوفيتى ، ولقد كان الضحايا الارثوذكس والمسلمون فى العشرينات والثلاثينات لا يقعون تحت حصر .

ويقول : ان السياسة السوفيتية هى التى اشعلت النار فى الشرق الاوسط واستغلت فكرة القومية العربية على المدى الطويل لاثارة المتاعب والعقبات امام الدول الغربية فى الحصول على البترول وبذلك يتم تكسب والفوز عليها وهى خطة وضعت فى الكرملين عام ١٩٥٥ .

* * *

محاولة الماركسية فى أفق العالم الاسلامى

كانت تجربة الغزوة الشيوعية للعالم الاسلامى والبـلاد العربية فى الستينات من اخطر الغزوات الشرسة التى حملت معها كل تراث الوثنية والمادية والاباحة وطرحه فى مجرى نهر الفكر الاسلامى فصبغه بصبغة رمادية قاتمة وحاولت التأثير على متطلعاته ومقوماته واسسه ، تحت اسماء براقة منها التقدمية والعلمية والاممية وكلها مفـاهيم مشبوهة لانها أستحدثت لتحمل بقايا تلمودية قديمة .

ولقد كان اخطر ما طرحت هذه الغزوة تلك الفكرة الســاذجة التى طرحتها الشيوعية المــاركسية فى أوربا وهى رد الدين الى مجــموعة من الخرافات والاساطير ، ولكنها لم تلبث ان تبينت أنها أمام حائط صلب لا يهتز لهذه المفاهيم كما اهتز لها الفكر الغربى ذلك لان الاسلام قام منذ وجوده على حقائق ثابتة فطرية ربانية لم تلعب بها الاهواء ولم تغيرها ايدى كهان أو احبار .

ولقد حاولت الشيوعية فى تجربتها اتخاذ اسلوب الخداع والمناورة ، واخفاء اهدافهم وراء عبــارات طبيعية مرنة ومن ذلك اعتصــامهم بكلمة الاشتراكية وكلمة اليســار ذلك ليخفوا وراءها شيوعيتهم ومــاركسيتهم اللينينية كذلك فقد كان من أخطر دعاواهم المرحلية فتح باب الحوار مع الدين لخداع الشعوب الاسلامية .

ولكن الشيوعية لم تستطع الاعتراف بوجود الله وانبيائه وكتبه ، وظلت تقرر أن أنبياءهم هم ماركس ولينين وستالين وخروشوف .

واعلنت ان انكار وجود الله ليس أمرا شخصيا ولكنه جذر من استراتيجية الفكر الشيوعى .

كذلك فقد عجزوا عن ستر علاقتهم بالصهيونية . فقد تبين من عشرات الوثائق والكتابات الرصينة أن الشيوعية كما ثبت هى جنــاح ايديولوجى للصهيونية العالمية وأن الشيوعية والصهيونية مظهران للفكر اليهودى الذى ينادى بالعداء السافر للشعوب وان لينين منذ عام ١٩٠٢ حضر باسم الحزب الشيوعى مؤتمر حكماء صهيون وأشترك معهم فى وضع البروتوكولات .

ومن هنا كان موقف الحزبين الشيوعيين فى سوريا ولبنان الذى أيد وجود اليهود فى فلسطين ودعا الى حق تقرير مصيرهم بوصفهم انه فى طريق التكوين .

ولقد كان من الضرورى ان يواجه عالم الاسلام كل تجربة فى عالم الغرب وان يتأثر بها حينما يلتمسها بعض دعاة التجديد الذين يرغبون فى اقتباس الانظمة الخارجية أو الذين تضعهم رياح السياسة العالمية فى طريق التبعية ، وشأن الماركسية فى هذا هو شأن الديمقراطية الغربية التى نقلت فى العقود السابقة وتبين فشلها وزيفها وعجزها عن العطاء الصحيح فى عالم الاسلام ، ثم جاءت الشيوعية بوصفها مناصرة للدول المستعمرة ومؤازرة الدول الراغبة فى الخروج من فلك الدول الغربية تحت اسم العدل الاجتماعى والخصومة مع الاستعمار فى الظاهر ثم لم تتكشف الحقيقة الا بعد وقت طويل حيث عرفت الدول الاسلامية ان لعبة الامم متسمة بين الايديولوجيتين دفعا وطرحا وانه لا فاضل ولا مفضول لان النظامين الرأسمالى والماركسى خاضعان لقوى اكبر تحركهما فى فلك السياسة العالمية : خصومة وتقاربا وأن العالم الاسلامى موضوع بين القوتين كمطمع اساسى بحكم ثروته ونتاجه ووضعه الاستراتيجى ومن ثم فقد كانت التجربة الماركسية فى العالم الاسلامى وخاصة فى (اندونسيا ومصر وغينيا) اشد فشلا من التجربة الراسمالية .

ولقد تبين ان الدعوة الشيوعية خارج وطنها تستهدف زرع الفوضى والفساد وقلب الحكومات . ولقد تركزت الحملة على الاديان فى عالم الاسلام وهى حرب عوان لا هوادة فيها غير أن الاسلام ثبت ثبوتا واضحا فى الميدان وعجزت كل المحاولات عن النيه منه .

ومن هنا كانت دعوتهم الى التزاوج او الالتقاء بين الاسلام والماركسية وهى دعوى فاسدة سرعان ما تبين زيفها ، فالماركسية المادية والدين بعامة والاسلام خاصة لا يمكن أن يمتزجا لانهما كالزيت والنار .

واذا كانت الدعاية الماركسية قد وجدت تربة خصبة فى البلاد الاسلامية المستعمرة المتطلعة الى التحرر فى مرحلة الخمسينات فان التجربة قد انكشفت بسرعة عن نتائج واضحة لا تدع مجالا للشك فى كذب كل الادعاءات والخداع وان كل ما بثته الماركسية بعد ان سيطرت على الصحافة والاعلام والثقافة من سموم على انها العلاج الناجع الوحيد فى القضاء على الاستعمار والتخلف قد ترك آثارا مريرة ما تزال تحتاج الى جهود ضخمة للتخلص منها .

وكان من اخطر مؤامراتهم العمل على تزييف الاسلام وتشويه تاريخ الاسلام وذلك لوضعه فى وضع ملائم للالتقاء مع الفكر الماركسى الشيوعى . وقد قام بدور خطير فى هذا المجال عبد الرحمن الشرقاوى واحمد عباس صالح بعد الدور الذى قام به طه حسين من قبل حين مهد لهما الطـــريق بكتابه (الفتنة الكبرى) وقد عمد الشرقاوى الى تصـــوير الرسول مصلحا بشريا والغى صفته النبوية القائمة بالوحى كما قـــام بتشويه مفهوم البطولة فى الحسين شهيدا . واتهم الرسول فى كتابه عنه بأنه اقترب من الخمر والاصنام قبل الدعوة وهو الرسول الذى عصمه الله . وحاول عباس صالح تفسير التاريخ الاسلامى على انه يمين ويسار .

لقد كانت محاولة الماركسيين لغزو المجتمعات الاسلامية جد خطيرة فقد تكاتفت فيها قوى كثيرة غير القوى المحلية واستخدم فيها فلاسفتهم الذين قدموا الى العواصم العربية لهذا الغرض وفى مقدمتهم جـــارودى ورودنسون وسارتر .

والهدف هو توسيد الطريق النفسى امام المسلم ليرتضى ان يكون مسلما ومعتنقا للشيوعية . وهو محال .

يقول الدكتور عماد خفاجى : ان هذه المؤامرة بداها روجيه جارودى فى كتابه ماركسية القرن العشرين ، حين قال بأن المسلم يستطيع ان يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات اخرى غير هيجل او سان سيمون . والادعاء بأن الاسلام دين عقيدة اما المذاهب فهى فلسفة واقتصاد واجتماع جاهلين بأن المسلم يؤمن بان دينه عقيدة وشريعة ونظام مجمع وانه عقيدة ومذهب فى نفس الوقت . وان ذلك المفهوم الانشطارى الذى يعرفه المسيحيون لا ينطبق على الاسلام . ذلك ان المسيحية دين لاهوتى عبادى لا يحمل معه نظام مجتمع ولذلك فان اهلها يلتمسون الايديولوجيات والنظم البشرية اما المسلم فلا يستطيع ان يعتنق اى ايديولوجية تخرج عن اطار الاسلام وان الاستشهاد بأبن سينا والغزالى وابن رشد هو استشهاد باطل . فالماركسية ليست من هذا القبيل : وان المنطلق الفكرى للماركسية يتمثل فيما يطلق

عليه فى الفكر الفلسفى (المادية الجدلية) فما هى المادة الجدلية التى انطلقت منها الماركسية وجعلتها منهجا فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد وكونت من خلال هذه العقيدة الماركسية التى سادت الاحزاب الشيوعية . فالماركسية ترد المادة الى الاتجاهات القديمة الى نظرية الفيلسوف القديم هرقليط المادية الذى كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه اله او انسان كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج وتنطفىء حسب قوانين معينة .

هذا المنطق الماركسى الأساسى بكل ما تقرره الاديان ويعترف جارودى بالحاد الماركسية وبأنها وارثة التراث الالحادى فى القرن الثامن عشر . هذا الذى لخصه ماركس فى مقدمة اطروحته عام ١٨٤١ بقوله ان الفلسفة تتبنى شعار بروميثوش : أنا ضد كل الآلهة .

ويقول جارودى : ان ما يتميز به الالحاد الحديث هو انه على خلاف سابقيه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب ، اصطنعها المستبدون أو مجرد وهم ولده الجهل ، بل ان ماركس وانجلز قد بحثا فى الحاجات الانسانية التى تلبيها الأديان بهذه الصورة المخادعة « فوصل كما يقول ماركس الى أن هذه الاديان هى فى وقت واحد انعكاس لشقاء الانسان وضعفه فهى تبدو كعقيدة تفسير للنظام القائم وتبرير له معا وهو يستخدم سلاح السلطان ويسمح بتعليم الجماهير أن النظام القائم نظام من ارادة الله وأن الخير أن يستسلم المرء الى هذا النظام وينقاد له فى طواعية وانضياع (الدين افيون الشعوب) .

ويقرر المعجم الفلسفى المكتوب من وجهة نظر شيوعية عام ١٩٦٧ : ان الدين افيون الشعوب وان الدين الاسلامى يبرر الظلم الاجتماعى ويصد الناس عن الكفاح الثورى ويدفعهم الى انتظار بليد للسعادة فى الآخرة .

وهكذا فشلت تلك المحاولة الخادعة والمؤامرة الزائفة التى حاكتها الشيوعية لتجد طريقها الى عالم الاسلام والى العقل المسلم بالرغم من القصور القائم فى المجتمع الاسلامى للتطبيق الاسلامى الصحيح أو الفهم العميق لأصول الاسلام ، فقد كان العلم متيقنا انه لا يمكن الجمع بين الاسلام والشيوعية وان محاولة الشيوعية ذلك عن طريق السيطرة على الصحافة والاعلام والفن لم تستطع هزيمة هذا الايمان .

* * *

ظنت الشيوعية انها استطاعت أن تحقق نصرا جديدا بالتوسع فى العالم العربى حينما سيطرت على مصر أكبر بلد عربى فى السنوات المظلمة الممتدة من ١٩٦٥ الى ١٩٦٨ حين أخذت فى أواخر ١٩٦٤ تخرج الماركسيين من السجون وتوليهم أرقى المناصب الاعـــلامية والصحفية وتترك بين أيديهم الصحافة والسينما والمسرح والاعلام كله . وقد كانت هذه السنوات القليلة كافية لكشف زيف الفكر الماركسى الشيوعى وعجزه عن العطاء وكانت المحاولة الشيوعية قد بدأت فى يوليو ١٩٦١ تحت تأثير انذار روسى وجه الى المسئولين وفرض عليهم هذا الاتجاه فى الوقت الذى أصبحت فيه الكلمة المسلمة جريمة وقد حوصرت الدعوة الاسلامية تماما وانحازت بقية من كتاب الاسلام الى الصمت ، وظهر سمو الفكر الاسلامى واصالته واستجابته الحقيقية للاشواق التى تحملها النفس المسلمة والعربية ، فى هذه الفترة كان الشيوعيون فى دور الصحف المفلسة يطبعون القرآن وتفسير القرآن وكتب السنة النبوية لينفقوا منها على مشروعاتهم الالحادية . وظهر أن الكتاب الاسلامى هو الـــكتاب المكتسح المتداول الذى تتلقفه الجماهير ، وظهر التحدى واضحا حين أقـــام المسلمون مساجد الصلاة يوم الجمعة فى قلب القاهرة فى شارع عماد الدين وعدلى وثروت وفؤاد بالميكرفونات كما انشئت مئات المساجد فى القرى والبلاد بلغت فى تعدادها عشرين الفا فى الوقت الذى لم تنشىء فيه وزارة الأوقاف سوى ستة آلاف .

ولم تكن الصحف الماركسية وغيرها توزع الا بالأوامر المفروضة على المكاتب السياسية والاتحادات ، وظهرت أقلام واصوات عالية هزت الوجود الاجتماعى كله . فهذا ما كتبه عبد الوهاب فايد فى الاعتصام وخطب الشيخ كشك ، وكلمات الشيخ محمد الغزالى ، ومع ذلك فقد استشرت تلك السموم التى القاها لويس عوض ومحمد سيد أحمد ولطفى الخولى ومحمد عوده وكمال الملاخ . وعباس صالح . وغيرهم من الذين سيطروا سيطرة كاملة على المسرح والاعلام والصحافة . وقد استعدى الشيوعيون الجهات الرسمية على كل المجلات التى كان لها فكر اصيل كالثقافة والرسالة فوادوهما ؛ ولم تبق الا تلك الكلمات المسمومة التى يكتبها لويس عوض كل اسبوع .

وكان اخطر تشكيلات الزيف الماركسى تتمثل فى منظمات الشباب التى

كانت تعلم الفكر المادي وتقول للشباب انه لا يوجد في الكون غير المحسوس ، والتي كانت تهزأ بالدين والقرآن والنبوة والوحي (وتعاون الشيوعيون مع مراكز القوى وكان معظمهم من قادة واعضاء الخلايا السرية ومن اصحاب المخصصات السرية في البنوك) وفي عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ قاد الشيوعيين التنظيم الاشتراكي واعطوه صبغة الحزب الشيوعي الروسي • وكان الموجهون السياسيون جميعا شيوعيين وكانوا يلقنون بالقوة والاكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال مبادىء كارل ماركس وآراء الفوضوي الاشتراكي برودين وقد نفر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيين فرضوها كمسلمات فرضا قهريا لا رحمة فيه . ولما رفض الطلاب تقبلها ادخلوا اليها المذهب الحسي المادي ليكون منطلقا الى الماركسية ، وجعل الشيوعيون من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مركزا للفكر الشيوعي في مصر ، وبدات دورات فكرية في معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعيين في البلاد النامية (أسيا وافريقيا) .

وقال احد الشباب (ليسانس حقوق ١٩٦٦) في منظمة الشباب :

« الا يمكن — فرضا نظريا — ان يكون واحد — ولو واحدا فقط — من بين الخمسين الف معتقل الذين نكل بهم في السجن الحربي وابي زعبل وطره بريئا ، واذا كان ذلك جائزا فلماذا لم تسمح السلطة الحاكمة بعد عشرين شهرا من السجون باخراج معتقل واحـد ولماذا لم يسمح الشيوعيون المسيطرون على ابواق الدعاية بترك مسجون واحد يرفع شكواه » .

ومع ذلك فقد كتب لطفي الخولي يقول : ان الشيوعية المصرية كانت حامية للحريات وانه كان يفتح صفحات الطليعة للاسلام وللمخالفين للفكر الماركسي عموما .

* * *

وقد اشار مكسيم ردونسون فى كتابه (الماركسية والعالم الاسلامى) الى ان نشأة الشيوعية الماركسية فى البلدان العربية من الحلقات الاجنبية وأنها كانت مقطوعة الصلة منبوذة من الشعب ومازالت رغم تسلم مقاليد أمور الأحزاب الشيوعية للعرب الذين يحملون أسماء مسلمة أو عاشوا بعقلية وبسلوك مسلم ولو جغرافيا الى ان قويت شوكتهم وكثرت اتجاهاتهم .

والمعروف أن تسرب الشيوعية بدأ على أيدى اليهود بحضانة الاستعمار ورضاه ، وأن جهودا كثيرة مشتركة بذلت فى هذا الصدد فى البلاد العربية المستعمرة والشرق الأوسط الذى كان موزعا بين بريطانيا وفرنسا فى الفترة التى تآلفت فيها الشيوعية مع الغرب لحساب الصهيونية للقضاء على المانيا الهتلرية ، وفى نطاق هذا قامت الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية لخدمة قضية الصهيونية وبدأ تدخل الاتحاد السوفيتى فى شئون العرب وقضاياهم تحت شعار الصداقة والمساعدات الاقتصادية والعسكرية والعداء للاستعمار الغربى ، ولا شك ان اليهودية العالمية والقوى الأجنبية (الغرب وفى مقدمته أمريكا) هما اللتان دفعتا بالاتحاد السوفيتى ليكون طرفا فى النزاع والصراع فى الشرق الأوسط . وذلك حتى تتم لعبة الامم لتحطيم العرب والمسلمين . فلولا اسرائيل لما وجد الاتحاد السوفيتى مكانا بجانب الدول الاستعمارية الغربية ولولا الانظمة الشيوعية التى أقامتها القوى الغربية لتسهيل مهمة السوفيت فى اللعبة لما وجد المجال للماركسية فى البلاد العربية والمعروف أن كتابا عربيين معروفين بولائهم للغرب وللامريكان هم الذين حملوا لواء الدعوة الى الماركسية وفى مقدمتهم جلال العظم .

ويقول أحد الباحثين أن الشيوعية دخلت العالم الاسلامى لهدفين :

اولا : خلق تيارات ماركسية من المسلمين انفسهم بتوجيه من اليهود الشيوعيين تنفيذا للمخطط الصيهونى الشيوعى .

ثانيا : تحطيم المجتمع الاسلامى بثورات متعددة متتالية :

والواضح أن الصهيونية شرعت فى تنفيذ خطتها بعد نجــاح الثورة الروسية مباشرة حيث تختلف من تحقيق جل هدفها بكامل الدقة . لأن المد الشيوعى بعد خمسين سنة (٢٠ — ١٩٧٦) وصل الى جزء من اهدافه ببلوغ كثير من التيارات الماركسية الاخرى التمكن من سياسة بلدانها وثقافتها ، ولكن الاحزاب الشيوعية فشلت فشلا ذريعا ، ولم تستطع قط ان تصل الى الحكم أو تنفيذ رغبات الشيوعيه العالمية والصهيونية وظلت منبوذة ومعزولة عن مشاعر الجماهير المسلمة .

وقد فهم الماركسيون الشيوعيون بعد الجهود المضنية بأنهم لم يكتسحوا عقول المسلمين وان اكتسحوا عقول الليبراليين الحاكمين باسم الليبرالية وانهم لم يغــيروا مجتمـــع المسلمين وانما غــيروا من مجتمع الليبراليين وانظمتهم ورغم ما قام به الماركسيون من تهديدهم للاسلام والمجتمع الاسلامى فاقلامهم تنتقد الدين كعمل أساسى لتحطيم المجتمع وتغييره وقد سفهت كتبهم وصحفهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة العقيدة الاسلامية وفجروا حولها الشبهات بشدة ورفعوا شعار أفيون الشعوب ولكن عقيدة الاسلام واجهت زيفهم وسمومهم بصمود عجيب .

ولكنهم لم ييأسوا فانهم حاولوا تغيير اسلوبهم بالدخول فى الاسلام وضربه من الداخل وفى نفس الوقت عمدوا الى الهجوم على الجمـــاعات الاسلامية الواعية وعيا سياسيا وحاولوا اقــامة بدائل زائفة من الهيئات والصحف لم تستطع أن تحرز لدى الناس قبولا أو ثقة .

وغاية ما تريد الشيوعية من الشعب المسلم المتدين ، هى تحويله الى شعب بلا قيم ولا مثل ولا ماض ولا أصالة . وقد حرصت الشيوعية فى ذلك على أمرين : على خلق أجواء من الأباحية والفساد الاجتماعى والرشوة وعلب الليل ، وخلق أجواء موازية لها من الاحقاد والصراع بين الناس ، فى مختلف شئون العيش ودفعهم دفعا الى الجرى وراء أدوات الاستهلاك فى طمع وشره ، كان له أبعد الأثر فى فساد المفاهيم الاجتماعية بين اهل المجتمع الواحد .

ثم عمدت الشيوعية الى رفع ستار الحقد والذم ، وحاولت دفع المجتمع الاسلامى الى امتهان الكرامة الانسانية والقيم والأخلاقيات ، ولكن العقيدة الاسلامية كانت عائقا ضخما فى وجه هذه المحاولة الخطيرة فقد دعا الاسلام الى العمل مع المحافظة على انسانية الانسان واعتباره ، وكرامته وشخصيته ورفض الضمير الاسلامى الجمعى أن يكون الفرد مجرد ترس فى آلة ، أو رافعة فى منجم ، أو عبدا للتحلل الأخلاقى .

لقد عمدت الشيوعية فى العالم الاسلامى على تقديم أشد سمومها خطرا وهى معارضة الدين والأخلاق وتأجيج الحقـد فى النفوس واشعال نيران الصراع بين الطبقات وتحريض الفقراء على الأغنياء والجهلاء على المنتفعين حتى يتحول الحقد الى ثورة تقضى على الأخضر واليابس وتقوم على آلاف القتلى وسفك الدماء ولا يستقر لها قرار الا فى جو الكبت الدائم والتنكيل المستمر بينما يقوم منهج الله الحق على الرحمة التى تعتبرها الشيوعية ضعفا والأمان الذى يقوم على الرحمة والتسامح والاخوة والتعاون .

يقول أحد الذين خاضوا التجربة مع الشيوعية : الدكتور مصطفى محمود « ان الصحوة من الحلم كانت حينما سافرنا ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة فى المجر ورومانيا والمانيا وكافة البلاد الشرقية التى تجرى فى هذا الفلك ولم نجد للرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الارضى أثرا » .

وكانت الصدمة الثانية الاعظم حينما فتح خروشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الاشهاد المظالم التى ارتكبها ستالين والملايين الذين تتلهم فى السجون والمعتقلات واعدمهم بالرشاشات وابقاهم الموت فى جليد سيبريا واسلمهم لآلات التعذيب بين يدى الجلاد الرهيب بريا .

« وقد احتاج الامر الى سنوات لكى اكتشف ان الفساد ليس فى التطبيق ولكنه فى المذهب نفســـه وان تلك الافكار الثورية لم تكن اكثر من تجسيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخى يخرج العالم من ظلم ليلقى به فى ظلم افدح » .

وهذا الذى اعلنه مصطفى محمود هو ما اكتشفه جلال كشك ولمعى المطيعى وعبد المغنى سعيد فى كتابات صريحة واضحة كاشفة تدحض تلك الزيوف التى حاول دهاقنه الشيوعية القاءها فى افق الفكر الاسلامى والمحاولات المختلفة التى جرى تنفيذها .

واخطرها محاولة جارودى فى دعوة المسلمين الى الشيوعية حين اعلن

فى نوفمبر ١٩٦٩ ان الماركسيين لا يحتقرون هؤلاء الذين يؤمنون بدينهم ولكنهم يمدون الى هؤلاء المؤمنين يد العون حتى يخرجوهم من مجال ضيق الى نوع جديد من الايمان وهو الايمان العالمى العميق بقيمة الانسان وكرامته . هذا هو الهدف الذى نريد اصابته وهو ان الدين اى دين ليس الا مرحلة من مراحل التطور الانسانى وانه يمكن ان يتخذ وسيلة يمكن الاستعانة بها لما تنطوى عليه من قيم انسانية رفيعة لتعجيل مراحل هذا التطور الانسانى .

ولا ريب ان ما يقوله جارودى لا يخدع المسلمين الذين يعرفون حقيقة الاسلام ، الذى لا يمكن ان يحتاج الى عطـــاء جديد يأتى من الماركسيين الملاحدة الذين تمتلىء قلوبهم حقدا على البشرية ورغبة فى ايقاد نار الصراع الدموى بين طبقاتها ؛ هؤلاء الماركسيين المستشارين الذين حين عرفوا ان شباب الاسلام فى مصر لم يتقبل النظـــرية الماركسية نصحوا بتدريس مادة الالحاد والمذهب المادى فى منظمات الشباب والتنظيم الطليعى .

والواقع ان ما قاله جارودى زائف وليس صحيحا من انه لا يوجد تناقض بين الاسلام والاشتراكية وكيف يمكن أن يكون هناك انسجام بين المنهج الربانى المحرر من كل الاهواء والمطامع والراغب الى العطاء الرحيم العادل وبين المنهج البشرى القائم على الاهواء والمتطلع الى القضاء على كل قيم الرحمة والعدل والدافع الى العنف والقسوة والاكراه والثورة المدمرة المخربة . وحين يقول ماركس وانجلز فى بيانهما : انه لا يمكن تحقيق اهداف الشيوعية الا بقلب الاحوال الاجتماعية جميعا بالقوة . او يقول لينين ان هناك ثلاثة ارباع العالم ليس بشىء ولكن الشىء الهام ان يصبح الربع الباقى منهم شيوعيين .

ولقد وضح ان الشيوعيين لا يستطيعون تحقيق اهدافهم عن طريق الاقناع بفكر واضح صريح ولكنهم يقيمون خطتهم على التآمر والغش والكيد والدس والنفاق . وجارودى نفسه هو الذى دعا الماركسيين الى أن يدخلوا فى الاسلام ظاهريا ويحاربوه من داخله بالحملة على بعض الاوضاع واثارة الخلاف على النحو الذى عرف فى المرحلة التالية بعد ان انتزعت من الشيوعيين سيطرتهم على الاعلام والفن والصحافة .

وفى نطاق التجربة المصرية يتبين الآن بوضوح أن الشيوعيين هم مصدر الهزيمة فى حرب ١٩٦٧ بمؤامرتهم ومناوراتهم وتنسيقهم مع الصـــهيونية العالمية حتى لا تستطيع مصر ان تحصل على نصر واضح على اسرائيل . ثم كانت خطط الشيوعية فى اجزاء كثيرة من العالم العربى والاسلامى وافريقيا

ومنها تصريح أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ١٩٦٧ قبل نكبة حزيران بشهرين حين قال :

(بعد انسحاب البريطانيين من اتحاد الجنوب العربى يجب العمل على انشاء دولة اشتراكية مستقلة . لذلك يرى الاتحـــاد السوفيتى نفســـه مضطرا الى التصرف تجاه أى حل تقرره الامم المتحدة حيال هذه المنطقة) وقد اعتبر هذا التصريح بمثابة وعد بلفور ماركسى سوفيتى للانطلاق الى اليمن والجزيرة العربية برمتها وحين ينظر الى الموقف جملة منذ اعتراف الاتحاد السوفيتى باسرائيل ١٩٤٨ وحين قدم لها العون العسكرى الذى مكنها من هزيمة العرب وحين قدم لاسرائيل تلك الاعداد الضخمة من الخبراء المهاجرين وخذل العرب عندما اوقف صفقات الاسلحة المتعاقد عليها . كل هذا يكشف بوضوح أبعاد المؤامرة .

وقد استهدفت الشيوعية فى تعاونها مع الأنظمة العربية والاسلامية العمل على تنفيذ خطة خطيرة فى مواجهة الاسلام بوصفه العدو الوحيـــد الذى يحول دون تقدمها :

اولا : تشويه العقيدة الاسلامية وتقديمها لجمهور المثقفين فى صورة منتقصة او موسومة بالتخلف لا تتناسب مع التقدمية والطموح الى مواكبة التطور العلمى مع تخدير الاسلام بعبارات طيبة فى حق العقيدة الاسلامية التى ساهمت فى مقاومة الاستعمار ولكنها لم تعد صالحة لما بعد ذلك .

ثانيا : قمع كل مبادرة للتعلق باللغة العربية وبذر بذور اليأس فى نفوس المتشبثين بها واعتبار المطالبة بالتعريب موقفا غير عملى ونابعا من عاطفة التعلق بالتراث والتزمت والانغلاق عن العصر واعلاء شأن اللهجات المحلية والتراث السابق للاسلام .

ثالثا : المطالبة بأن تمتد التربية الالحادية والثقافة الشيوعية الى فصول رياضة الاطفال بعد أن تركزت ونمت فى مراحل التعليم العليا .

رابعا : المبادرة بالغاء الشريعة الاسلامية فى قوانين الاحوال الشخصية والعمل على تفكيك الاسرة المسلمة وتهديم بنيانها وقطع جميع العـــلاقات الانسانية (أبوه — امومة — اخوة — صهر — نسب) بين أعضائها :

خامسا : المطالبة بمنع الابوين من القيام بواجبهما فى تربية أولادهما عن طريق انتزاع الاطفال والحاقهم بالمؤسسات .

سادسا : الغاء التزام الزوجة بطاعة زوجها او معاملة اهله بالمعروف والغاء ركنى الزواج الاساسيين : الصداق والولى والنفقة الواجبة على الزوج اثناء الزوجية وفى فترة العدة لان النفقة رمز تفوق الزوج على زوجته مما يتنافى مع الروح التقدمية .

وقد تبين بوضوح أن التيار الاسلامى وهو الخصم الحقيقى للشيوعية وهو القادر على مواجهة هذه السموم كلها وكشف هذا التيار الذى غيبته القوى المتآزرة ووجهت له فى مصر اشرس الضربات حيث صدر فى موسكو الحكم باعدام من قادة الحركة الاسلامية عام ١٩٦٥ .

« راجع الوثائق الملحقة فى نهاية الكتاب »

* * *

شيخوخة الماركسية

تكاد الوثائق التى تكشفت عنها الأحداث اليوم أن تجمع على دخول الفكر الماركسى والتجربة الماركسية كلها مرحلة « المحاق » والشيخوخة والهزيمة والانهيار ، فالشيوعيون اليوم يواجهون هزائم متوالية فى كل مكان فى الاتحاد السوفيتى نفسه وفى الغرب الأوربى وفى العالم الاسلامى .

ففى الاتحاد السوفيتى تبدو هزيمة الفكر الماركسى اللينينى واضحة فى التنصل من ماركس ومن الرخصة اللينينية ، وهناك تراجع شامل فى النظرية والتطبيق وفى الغرب نجد المحاولات الصريحة للتحرر من التطبيق الماركسى اللينينى واضحة فى تجربة يوغوسلافيا وتجربة براغ والأمر يختلف الآن عن عام ١٩٦٨ عندما عبرت دبابات حلف وارسو حدود تشيكوسلوفاكيا من كل صوب وسحقت التجربة الجريئة تحت جنازيرها (تجربة دوتشسيك) أن الأحزاب الشيوعية الاوروبية تعلن اليوم بوضوح وصراحة انها لا تخضع للكرملين .

وقد كشفت بوضوح فى كتابات متعددة رفض تنفيذ النموذج المطبق فى الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية والدعوة الى برامج منبثقة من واقع وطنهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى وهم يرون أن النموذج السوفيتى قد فشل من الناحية الانسانية وخاصة فى مجال الحرية الفردية .

وقد كشف هذه المعانى كثيرا من الباحثين فى مقدمتهم (سنتياجو اكاريلو) فى كتابه البوركومبوتزم والدولة (أى الشيوعية الأوربية والدولة) وأن هذه الازمة بدات عام ١٩٥٦ عندما القى خروشيف بقنبلته وكشف الحجاب عن فظائع ستالين الأمر الذى اصاب الحركة الشيوعية العالمية بهزة عنيفة أدت الى انفصال الصين من الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٠ بعد أن انطلقت منها ايديولوجية خاصة هى الماوية نسبة الى (ماوتسى تونج) .

والآن تولد ايديولوجية جديدة اسمها الشيوعية الاوربية تنطلق من دول متقدمة اقتصاديا والحريات فيها متوفرة ، ويرى المراقبون انها ستكون بعيدة الأثر فى تحطيم جدار الحركة الشيوعية .

وقد حاول برجنيف جمع شمل الأحزاب الشيوعية بعد اعداد دام سنتين فلما اجتمعت الاحزاب الشيوعية فى برلين (يونيو ١٩٧٦) فشل المؤتمر ولم ينجح وبدات موسكو تواجه انتقادات الاحزاب المنشقة : الاحزاب اليوغسلافية والرومانية والايطالية والاسبانية وقد أعلنت استقلالها عن موسكو .

ولخص سنتباجو فى كتابه ما يأخذه الشيوعيون الأوربيون على موسكو فقال ان فى موسكو طبقة من البروقراطية تتمتع بسلطة سياسية لا حدود لها اذ أنها تأخذ قرارتها دون استشارة الشعب ولا حتى الحزب .

ويقول : ان طبيعة المجتمع السوفيتى من شـأنها ان تعطل النمو الاقتصادى وبالتالى لن يحقق الاتحاد السوفيتى بوضعه الحالى : الشيوعية ؛ وان الخطأ هو ان موسكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وان موسكو هى الفاتيكان . وبالتالى فقد شنت وشنطن هجوما شديدا على الشيوعية الأوربية .

اما فى داخل روسيا فان الامر اشد خطورة : يقول احد المراقبين فى تقرير يصف هذا التحول :

« ان موسكو الآن تعانى من ثورة عارمة تمردت فيها فصائل اليسار على قيادة الكرملين وقد بدت على السطح مرحلة من المواجهة الساخنة بين الاتحاد السوفيتى وبين التيار المتصاعد للحركة القومية داخل الأحزاب الشيوعية سواء فى ذلك الاحزاب الاوروبية فى فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال . او الأحزاب الاسيوية فى الهند وسرى لانكا وكوريا واليابان ..

هذا التيار المتصاعد يشكل الانقلاب النهائى للحركة الدولية فى قبضة الكرملين وهو الامر الذى بدت بواكيره الاولى بانشقاق يوغوسلافيا ١٩٤٨ ثم اعقبه الانشطار الآخر بالانشقاق الصينى ١٩٦٠ وموضع الخطر بالنسبة لموسكو هو ان انتشار الثورة على (الكرملين) من جانب الاحزاب الشيوعية فى اوربا الغربية سوف يؤدى الى تعقيدات خطيرة عبر الامبراطورية الروسية فى اوربا الشرقية بالذات حيث تعسكر فيالق الجيش الروسى لضمان السيطرة الروسية على دول الستار الحديدى وقد اثبتت التقارير أن للسوفيت واحدا وثلاثين فيلقا من جيوشها المدربة فى دول اوربا الشرقية وهى آمنة فكيف

تكون حاجتها اذا انتشرت الثورة فى الامبراطورية الروسية كرد فعل لتمرد الأحزاب الشيوعية الغربية على سيطرة الكرملين . ان الخطر الذى يواجه القيادة السوفيتية بفقدانها للعالم الشيوعى ليس مجرد خطر سياسى أو سيكولوجى فحسب ولكنه خطر ينطوى على كثير من التعقيدات العسكرية والاستراتيجية بصورة اشد ؛ ذلك ان موسكو مقبلة اليوم على مرحلة تقع بين محظورين : بين عالم شيوعى قد رفعها وعالم راسمالى لم يقبلها والنتيجة المحتومة هى العزلة العسكرية والسياسية على السواء .

وهذا اول ملامح التغير المرتقب فى ميزان القوى .

ويكشف المراقبون ان نتيجة هذا كله هو ان تراجعت الماركسية اللينينية تراجعا كاملا فى النظرية والتطبيق وأن عملية التراجع شملت جميع بلدانها تقريبا .

اولا : يوغسلافيا ورومانيا .

ثانيا : تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا .

ثالثا : مناطق يسيطر عليها الاتحاد السوفيتى سيطرة مباشرة : ألمانيا الشرقية وبلغاريا .

رابعا : حركة المنشقين والأصوات المطالبة بالتغيير يعلو صوتها وتلقى قمعا صارما من السلطات .

وفى الصين : أعلن رئيس وزراء الصين أن المعسكر الاشتراكى أصبح شيئا لا وجود له . وان الصين تنتمى الى دول العالم الثالث . وقال أن الوجود الامريكى فى آسيا مهم لنا وذلك لموازنة النفوذ السوفيتى المتزايد . وفى الصين يبنون القومية الصينية ويذكون الروح المحلى ويغلبون الاقليمية على الأممية الشيوعية .

وبذلك انهزمت كل تصريحات الاممية والوحدة والطبقة والمادية المحلية ويتقهقر الفكر الشيوعى فى غرب اوربا وارتبط بالفشل فى التطبيق العملى فى شرق اوربا الذى كشف عن أخطاء النظرية وخبالها وضلالها . وكذلك فشلت التجربة الاشتراكية فى مصر والعراق والسودان واندونيسيا وتانزانيا وغيرها وتراجعت أكثر البلدان فى مجال التطبيق الاشتراكى [٢٨]

وشهد النصف الثانى من القرن العشرين النهاية الحاسمة للشيوعية فكرا وممارسة .

هذه النهاية جاءت على ايدى الشيوعيين انفسهم فى نفس الوقت الذى انهار فيه النظام الرأسمالى .

يقول الأستاذ لمعى المطيعى : جاءت الذكرى السنوية لثورة اكتوبر الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ١٩٧٧ والخلاف حاد ومستحكم بين الصين وروسيا وينمو اتجاه مستقل محايد ازاء الصراع الصينى السوفيتى يتمثل فى يوغسلافيا وكوريا الشمالية وفيتنام ورومانيا وداخل الدول الشيوعية يتصاعد اتجاه الاستغلال من النفوذ السوفيتى . وفى داخل الاتحاد السوفيتى تظهر حركة المنشقين التى تمتد لتشمل عناصر مرموقة من الكتاب والمفكرين وهناك الشيوعية الأوربية التى ترفع لواء التمرد على حق الاتحاد السوفيتى فى السيادة الفكرية على الاحزاب الشيوعية الاخرى وتعلن التخلى عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وتؤيد الديمقراطية البرلمانية .

وكل هذه الافكار خروج صريح على قيادة ثورة اكتوبر وخروج واضح على افكار ماركس ولينين التقليدية . وتعد ثورة اكتوبر : النموذج العملى لتطبيق الماركسية اللينينية ومن هذا المنطلق اعلن المؤتمر الأول للكومنترن (٧ مارس ١٩١٩) الشروط الاساسية . ومن هذه الشروط الاساسية الوصول الى السلطة بالعنف الثورى وتأييد الاتحاد السوفيتى دون تحفظ .

ولم يدر بذهن ماركس ولا بذهن لينين ان يأتى يوم تتنكر فيه احزاب شيوعية لمبادىء الولاء المطلق للاتحاد السوفيتى ودكتاتورية البروليتاريا والعنف الثورى .

(وقد اعلن الحزبان الشيوعيان الفرنسى والايطالى التخلى عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وامكانية الوصول الى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية) .

وهناك الخلاف بين الصين الشعبية وبين روسيا منذ عام ١٩٥٦ وعدم التقيد بنموذج التجربة السوفيتية أو توجيهات الاتحاد السوفيتى وما اعلنه (سانتاجو كاريللو) فى اسبانيا من ان النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى نظام لا يصلح للتطبيق فى المجتمع الأوربى المتقدم .

ويرى السوفيت أن الشيوعية الأوربية تمثل تهديدا مباشرا لنفوذهم

أخطر من أى تهديد سياسى يمثله الراسماليون الأوربيون ، كما يعد اتجاه الشيوعية الأوربية اخطر انشقاق فى صفوف الشيوعية الدولية فى العصر الحديث .

وان مؤتمر برلين الشرقية قد انتهى بهزيمة ساحقة للفكرة السوفياتية التى كانت تقوم على مبدأ قيادة الاتحاد السوفيتى للحركة الشيوعية العالمية وقد تبنى مؤتمر الأحزاب الشيوعية وثيقة جديدة لتحديد العلاقات بين الاحزاب تنص على المساواة والسيادة والاستقلال لكل من هذه الأحزاب وعدم تدخلها فى الشئون العامة على أن يطور كل حزب نفسه ذاتيا وهذا يعنى سقوط قيادة الاتحاد السوفيتى للأحزاب الشيوعية ، وهذا هو التمزق الجديد بعد التمزقات التى مضت ، ماركسيتان وشيوعيتان فى الصين وروسيا . ثم اخذت دول أوربا تتخلص أولا بأول من نفوذ القيادة الروسية (تيتو ، رومانيا تشوسيسكو) وها هو انشقاق الاحزاب الاوربية عن الفكرة الماركسية اللينينية كعقيدة ومبدأ والاتحاد السوفيتى كقيادة .

هذا وقد اخذ بريق الماركسية بعد مائة وخمسين عاما من عمرها ينطفىء ولم يعد من المسلم به القول بأن الماركسية دين لا يخطىء او انها تنفرد بالوحدانية فى التنمية الاقتصادية .

ان التطبيق الحرفى لافكار انبعثت فى ظروف القرن التاسع عشر لابد ان يؤدى الى موقف رجعى فى النصف الثانى من القرن العشرين حيث التقدم العلمى والتكنولوجى المذهل .

وقد ثبت أن المادية العلمية والماركسية اللينينية قد فشلت بعد هذا العمر الطويل فى أن تكون وسيلة للتفكير .

* * *

فهرس الكتاب

رقم الإيداع ٢٦٤٥ / ١٩٨٣

٩٧٧ – ١٤٢ – ٠٢٦ - ٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ شـــاطى - شــبرا مصــر